بوابة جبر الخاطر

محمد مستجاب

إعداد وتقديم:
محمد محمد مستجاب

لوجو
الهيئة المربع

سلسلة
الإصدارات الخاصة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد
أمين عام النشر
سعد عبد الرحمن
الإشراف العام
جمال العسكرى
الإشراف الفنى
د. خالد سرور

• بوابة جبر الخاطر
• محمد مستجاب
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2008 م
256ص. 5ر13 x 5ر19 سم
•مراجعة لغوية:
محمد أحمد عبد المطلب
د. محمد السيد إسماعيل
• تصميم الغلاف: أحمد الجناينى
• رقم الإيداع: ١٤٧٠٤/ ٢٠٠٩
• الترقيم الدولى: 978-977-479-488-1
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

69

تعنى بنشر الأعمال الفكرية والثقافية والأعمال الخاصة لأبرز الكتاب فى مصر والعالم

• هيئة التحرير •

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
د. أحمد مجاهد
مدير التحرير
عماد مطاوع

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف في المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بالإشارة إلى المصدر.

بوابة جبر الخاطر

المحتوى

- إهـــداء 9
- تـقـديم 11
- الخـروج 13
- صباح أبو المعاطى 15
- أبو سنة.. فى أرمينيا 17
- سـامر الوراثة 19
- دنيا بشير السباعى 21
- عن .. أنور لوقا 23
- مصطفى أمين 25
- الدكتور شتا 29
- ظـاهـرة أدونـيس 31
- عن يوسف بـاشـا وهبى 33
- أبونا .. توفيق الحكيم 35
- عبد الوهـاب الأسـوانى 39
- غـالى شكرى 41
- ضياء الشرقاوى 43
- أبونا سلمان 45
- المـازنـــى 47
- أبونا شكرى 49
- استغاثة.. من المعرفة 51
- إنه.. عدلى رزق الله 53
- عبقرية دالى 55

– جائزة بهاء طاهر 56
– سحر طلعت شاهين 61
– أمين ريان 63
– الحزن.. اعتقالاً وحرية 65
– مولد الحمامصى 67
– رفقى بدوى 69
– عبد الغنى داود 71
– عن سعيد الكفراوى 73
– الادعاء الغبى 75
– عبدالله سرور..... 79
– جهنم 81
– تجريد الوطن..... 85
– فارس بلا عصا 89
– فن الاعتراف 93
– النص الأدبى تليفزيونيا 95
– وحيد وأسامة 97
– صبحى.. وكارمن 99
– عن حسن الإمام 101
– القلب القديم 105
– طيبة 107
– أمواج العريش 109
– بوتقة أسوان 111
– المنارة: فى الصعيد 113
– القاهرة 115
– من ينسى هذا الجسر؟؟ 117
– شمال.. جنوب 121

– يوم مصرى 125
– السلوان.. فى أسيوط 129
– نسيم.. سمالوط 131
– الأقـــواس 135
– مؤتمر ٦ أكتوبر 139
– الأمانة وأصحابها 141
– هذه الانتخابات 145
– لماذا.. هذا؟؟ 147
– أيام.. غير عاطفية 151
– الولع الفرنسى؛ من باب التصويب 153
– الركون إلى الحائط 155
– ١٩٩٨ 157
– سعادتنا فى بنى سويف 159
– كوميديا.. فارس خضر 161
– ارتحالات نعمات 165
– وقت فى العراء..... 169
– أفراخ شوقى 171
– الميل.. شرقا 173
– الأوز.. والدخان 177
– عن مصطفى بيومى 179
– كائنات عبد العزيز موافى 181
– هذا الشوك الدامى 183
– نـــورا 185
– وقائع استشهاد سمير ندا 187
– قليل من التمرد 189
– الحزين.. عبد الناصر علام 191

– ملكوت مؤمن 193
– البطران نجما للرواية 195
– ناهـد 199
– وَسَم سيف إبراهيم مبروك 201
– ديوك الفيوم 203
– اكسفليس أنس فللوص 205
– عن محمود حربى 207
– سدرة أبو فجر 209
– إشارات فاروق خلف 211
– دراجات رجب 213
– سبتمبر فوزى شلبى 215
– هـذا ظل الأرض 219
– الوحدة.. و.. الونس 221
– مشهد يسرى حسان 223
– كونشرتو.. العتمة 225
– الدخان 227
– ليالى زهر الفول 231
– صباح الهرم 233
– دفاع عن النفس 237
– المطاردة 241
– هروب بهجة العيد..... 243
– خاص جدا..... 245
– بغداد 247
– الكاتب 249

إهـــداء

إذا وجدت لشخصك العزيز ظلاً، أو شممت رائحتك- أعوذ بالله- بين هذه السطور، فأنت تفكر- ولأول مرة- تفكيراً سليمًا.

محمد مستجاب

تقديم

أن تلمس أناملك النار أو يخترق البرد عظامك، أو أن يتوقف ولد العين ذعرا فى المحجر، أى: أن يضطرب القلب وترتعش الجوانح وينفطر الفؤاد ويتحلل الكبد، أو أن تذوب فى السحيم بخارا فى الأفق، أو أن تتسامى هالة حول القمر أو ضبابا فى الشفق أو نقطة ندى على حافة زهرة، أن تسقط وتصعد وتضطرب وتصمت، أن يتحرك العقل تاركا الجمجمة الباردة ليخترق طبقات الخشب والجلد والشعر والصوف والحديد والدفء، أن تنسل الأحاسيس والعواطف من دورة الحب والرغبة والحقد والنوازع، وتنطلق إلى خلايا الشجر وزقزقة العصفور ونباح الكلب، وهسيس الكون، ألا تتوقف عند موضوعيات الديون والحقوق والواجبات والتذكر الدائم والجدل وتحقق الفوز، أن تتلقى أول شعاع من الشمس وتودع أخر شعاع شاحب من القمر، أن تتسربل فى غلالات لا تظهر منك شيئا وتربز

منك كل شيء، أن تسبح فى بحار لجية دونما شاطئ وتداور أحزانا دونما سبب، أن تفتح النوافذ على هبوب العواصف وتتلاطم فى الصخر والقواعد والكتل الجامدة. أن تتوه فى المسافة بين الحاجب والرمش، أن تتطاير أشلاء بين الألوان وتتفتت ذرى فى صدى الصوت، أن تتجمع صهدا كالنار أو شجاعة كالأسد، أن تتمايل لذة بين القصاد ووجدا بين النثر المشرق، وتتناغم متدفقا فى انسياب الموسيقى والزهور والثمر، وتتهاوى عذابا فى حنايا المقهورين وخيلاء فى وجدان المنتصرين، ألا تكون فارا أو سحلية أو ثعبانا أو صديقا خائنا أو عدوا رديئا، أن تكون الزوج والولد والأب والأمنية والدواء والجد والسكن والسيف والحكمة والحمق الصغير، ألا تنجذب للحفر والأحجار ، ولا تقع فى الكوارث الضحلة.

أن تفهم كما لا يفهم أحد، وأن تدرك كما يدرك أى أحد، فأنت أديب.. وعليك أن تبدأ الآن فى الكتابة.. لتقع فى المأزق الوردى الغامض الشرس الذى لن تخرج منه أبدا..

محمد محمد مستجاب

الخروج

أول ما كان يفعله الأنبياء والرسل، الخروج من المدن التى يعيشون- مجاهدين فيها- ويترتب على هذا الخروج- مع أهمية أسبابه- خروج على هذه الجماعات الكثيفة، التى تحاصرهم وتناورهم وتلحق بهم العذاب، وهو ما يجب أن ندرك أبعاده الآن، إذ لابد لنا من الخروج من هذه المدن- مع ترك (الخروج عليها) للكتابة والتعبير والإبداع، ذلك أن الانطلاق بعيداً عن كل الكتل المعهودة والراسخة من أفكار وبقالين وباعة صحف وخضروات، وأماكن تجمعات فى المقاهى والأتيليه أو النوادى يفتح عقولنا على الآفاق الرحبة الممتدة فى الصحارى والبحار والسموات والآبار والسهول والوهاد والقوارب والمقابر والجدران المتآكلة وظلال الأشجار غير المشذبة، أن نخلع عن أنفسنا الرداء الأمين الكثيف لمدينتنا ونخترق الحجب إلى مناطق تعابث الريح والنسيم ودود الأرض ومناقير العصافير، أن نترك كل هذه الكتب والمراجع والكروت المحشورة فى

الروايات والقصص، أن نهرب من شرفاتنا التى تقع مباشرة تحت العيون الغليظة والأصوات العالية للجيران، أن نعود لمناورة هذه الأمواج العاتية من الحرارة الخانقة، أن نتوقف قليلا عن استقبال المكالمات التليفونية، أو الانشغال الدائم بالاتصال الدائم بالأصدقاء الدائمين أو الأعداء الدائمين، أن نخرج من هذه الشرنقة الشائكة كثيفة الشعر التى تحمينا بالاختناق كى نسترخى- هناك بعيدا بعيدا- فى أماكن لا تصلها حرارة الشمس والأصدقاء والمناوئين وقضايا الوطن المرهق بنا- ونحن مرهقون به..

لابد من الخروج على كل هذا الضجيج لنصمت بعض الوقت المأمول فى السلام والأمان وهدوء الخاطر..

ولا علاج لنا سوى ذلك، حتى لو كانت أمورنا تختلف مع ظروف وقضايا الرسل والأنبياء.

١٩٩٨/٨/٩

صباح أبو المعاطى

إنها الكتابة وإنه الأمل، ثم هو الإشراق الدافئ الودود الذى لم تنسكب بين سطور قصصه ورواياته نقطة دم واحدة مع أهمية حلول الموت، تماما مثل حياته، أبو المعاطى أبو النجا، الحياة تشغى بالتفاعل والتداخل والحركة والشك والإمعان والقدرة الفائقة على التنفس والتجاوز، وعدم الوقوع فى دائرة التفاهة والهبوط، إنه الإحساس العارم بكل العناصر التى تدعو إلى الإشراق، إنه الكاتب الفنان الدءوب الصامت المبتسم- دعك مما يحدث له من أثر ناتج من استغلال الآخرين لإشفاقه على الآخرين- نصف عمرى الماضى قضيته- قربا وبعدا- شدًا وجذبًا مع هذا الأستاذ، ثلاثون عاما- أى بعد دخولى عالم الأدب مباشرة، وبعد تحليل لوقائع اغتيال هابيل وإدانة قابيل بأيام قليلة، كل هذه الدهور- بكل مافى الدهور تتشابك وتتلاحم وتفرز المرح والحزن والأسى والأمنيات الجديدة كلها تختزن

فى هذا الصباح، أى فى إشراق مجموعته القصصية الجديدة، والتى تتراقص فيها المشاعر النبيلة على إيقاع الشجن، بأسلوبه الراقى الدقيق المنتظم المتسلل إلى الجوانح. يفرز الرؤى ويستثير كامن الجوارح الإنسانية ليتدفق الشعر نثرا شفيفا هادئاً متوجساً، سواء فى القصص أو اللوحات عن الوجوه التى عبرت مجاله فى المرآة حتى الكابوس الأزلى الذى يضغط على الكيان، ويحاصر المشاعر، هذا العملاق القادر على أن يوثقه بيديه منذ كان طفلاً، والذى لا يتذكر أبداً صورته، والذى يمثل الخبرة الأولى فى المخاتلة والخداع، يتحول عند هذا الفنان إلى عذاب وألم يصنعان جزءا من الدائرة القدرية، ليمشى على الصراط فوق النار لكى يصل إلى الأمل العظيم- والمستحيل- فردوس الحياة كى تعود إلينا متعة القراءة الجميلة، دون اهتزاز أو اضطراب كوسيلة كاوية للتطهر والنقاء، وهى استعادة للعذوبة التى أدفأت وجداننا فى أعماله الراقية: العودة إلى المنفى، بالوهم والحقيقة، الابتسامة الغامضة، فتاة فى المدينة، وإلى ذلك من نصوص استقرت فى الوجدان لتصبح جزءًا من دمنا، ومن خلايانا، ومن جدوى الكتابة ضد العدمية والبؤس والاكتئاب حيث لا يمكن أن تحس فى مثل هذا الصباح إلا بالإشراق وبالحب الكبير بل إننى أزعم أن قابيل لو وقع بين كتابات أبو المعاطى لأعاد النظر فى الكارثة من جديد، ليظل هابيل يرعى قصصه حتى الآن.

١٩٩٩/٥/٢

أبو سنة.. فى أرمينيا

قارة مجهولة أو غامضة بالنسبة لنا تلك التى يقودنا فيها شاعرنا الكبير محمد إبراهيم أبو سنة والتى – هذه القارة – تنمو فى تكويناتها أحراش وزهور وشجن غامر، إنها المساحةالتاريخية والنفسية التى يغطيها كتابه (مختارات من شعر الأرمن) والتى برع فى صياغتها الفنية (أو الشاعرية) عن الترجمة التى قام بها الأرمنى فاروجان كازنجيان: (فإن كانت الأهرام قبورا للفراعنة فهى تعد تصغيرًا للدنيوية الهائجة، وإقرارًا أمام الخليقة بتسليم النفس فى صمت).. (لو أن ملاك الموت الشاحب، هبط بابتسامة عريضة أمامى، فتبخرت روحى وتبدد أملى: اعلموا أنى مازلت حيا)، (خذوا النبيذ الأحمر واسكبوه من زجاجته، أحضروا ذبيحة الضأن المشوية فوق الآنية الفضية، وحولها الأرز الشهى المتبل باللوز والقرنفل علينا أن نحتسى النبيذ يا أصدقائى. ونترك أمرنا إلى الله) (قبلت الأرض بين

يديه فور رؤيتى له، وبثلاث ابتهالات انحنيت حتى لامست الأرض. قلت أنا عبد وأنت ملك فاغفر لى، قلت أنا عليل الروح وأنت طبيبى ، قلت: إننى معدم وتواق إلى إعطائك، امنحنى نصيبى من نعمتك وليكن خلعة) وهكذا تنساب هذه الأشعار التى تمس الروح، تبدو وقد احتكت- إلى حد الامتزاج- بكثير من مناطق إبداعنا الشعرى الشعبى على وجه الخصوص حينما يذوب العبد فى محيطات مولاه ولذائذ دنياه. وما إلى ذلك من مجالات مغمورة فى إحساس شرقى تكاد تكون منتفية من الشعر الغربى الأوروبى والأمريكى، المعاصر بالذات، ولا سيما أن الأرمن فى معظم عصور التاريخ قوم منهوشون ممزقون مع أن القومية الأرمنية ربما تكون الوحيدة التى يتسلل حزنها الشفاف الراقى من خلال مجالات فنية وأدبية عديدة، ومتفرقة لكننا لا نجيد إعادتها إلى مكمن صدورها القومى الأرمنى الحزين، إنما نقوم بردها إلى الجنسية التى يخضع لها صاحبها بين كافة المسالك.

ولعل الإضافات والتعليقات والربط اللغوى والتراثى والإشارات التى أضافها شاعرنا أبو سنة على النصوص وأصحاب النصوص، أدت إلى عمق درجة التواصل، وارتفاع قامة هذا الكتاب القوى الجميل، الذى يحتل قارة بأكملها.

١٩٩٩/٢/١٤

سامر الوراثة

الذى ارتكبه عالم الوراثة وعضو مجمع اللغة العربية الدكتور أحمد مستجير، فى ترجمة كتاب الهندسة الوراثية بالكاريكاتير، يفوق المتوقع والمتصور والمأمول، ليس فى الجمال والقدرة على التوصيل، وإدراك التواصل فقط، بل وفى روح ابن البلد المصرى التى لم تهتز من خلال تجاربه واحتكاكاته فى أرض هذا العالم المتناقض الواسع، فى المعامل والتحاليل والتحليلات والإمعان فى المقدمات والنتائج، علم الوراثة المكتوب بتعقيداته المذهلة وبساطته المذهلة أيضًا وما يعنيه من تفسير للنمو والتطور الحيوى- أى البشرى وغير البشرى- من خلال أحقاب التاريخ، ومدى اختراق- هذا العلم- لمعنى حياة أو موت الكائن الأرضى بما فى اللفظ من عموم يشمل حتى النبات ، كل هذا الذى قدمه لنا فى العديد من كتبه، يتحول فى هذا الكتاب الجديد إلى موضوع ساخر لاذع مخدوم بالرسوم الكاريكاتيرية، والتعليقات

المترجمة ليس إلى اللغة العربية فقط، بل وإلى اللهجة المصرية المفعمة بالونس والأنس والألفة والتوضيح والاستدراك واللماحية مع إضافة السخرية المناسبة ليخرج الكتاب من كونه كتابًا ذا أوراق وجلدة وعناوين ورسومات، فيصبح مصطبة للسمر والتعليقات والمشاغبة والانتقاد اللماح، مع خطورة المجازفة باستخدام اللهجة العامية فى ظرف علمى دقيق- مثل هذا الذى يعتور علم الوراثة، لكن هذه اللهجة لا تلبث أن تقوم بالدور الأعظم فى الشرح والتحليل- والانتقاد الشائك أيضًا، بما لاقد تتحمله اللغة الفصحى، أو تضيق به، حيث ينتشر فى الكتاب هذا الجو المثير للتفكير المتوقد على فحم تعميرة التبسط الجميل الذى تعبق به لهجة العوام الأنيقة والشفافة أيضًا، والتى بالتأكيد كانت وراء صانعى هذا الكتاب: لارى جونيك ومارك هوبلس- مع أنهما أجانب. ولعلى أدعو أصدقاءنا كى يستمتعوا بالاطلاع على هذا الكتاب، على الأقل كى يقتربوا أكثر- ودون جهد- من علم الوراثة- كما حدث لى تمامًا، وفى مرح وابتسام ورغبة عارمة فى الشغب والمناجزة حتى يصبح ما ارتكبه أحمد مستجير قد حقق هدفه.

١٩٩٩/٣/٢٨

دنيا بشير السباعى

قضيت أيامًا طيبة وشديدة القلق فى عالم بشير السباعى، والذى هو واحد من النخبة المثقفة النقية فى بلادنا والخالصة من الهوى والغرض دون البحث عن موقع متميز مغروز فى أعماق الثقافة الجادة وتاريخها، والتيارات التى أحاقت بها تدميرًا أو نضجًا، هو حالة من حالات الصوفية فى أحسن تكويناتها الثقافية، ولذا فقد ظل أمره خافيا حتى عن جمهور المثقفين- الذين هم دائمًا فى حاجة إلى نموذج مثله، وكثيرا ما أضاء لنا السبل والدروب دون أن ندرك أنه هو ذلك الهادىء البسيط النحيل الجالس مع رفاقه بعيدًا عن الضجيج، يتحدث فى هدوء عن أهم المراحل الفكرية التى جذبته وصنعت وجدانه وإدراكه، أعنى هذه المرحلة المؤثرة فى الإبداع أدبًا وتشكيلاً ورسمًا ونحتًا والتى ارتبطت بالتجمع السوريالى الباريسى الذى قاده الشاعر الفرنسى أندريه بروتون اعتبارا من عام ١٩٢٤ والتى كان جورج حنين المصرى علمًا بارزًا من أعلامها، وأحد قادتها المرموقين، حيث - بشكل يتوازى

مع المدرسةالباريسية – أنشأ جماعته فى مصر: من أجل فن ثورى حر، وهى جماعةالفن والحرية، بالاشتراك مع أنور كامل، رمسيس يونان، فؤاد كامل، كامل التلمسانى، والتى كانت تصدر مجلة التطور عام ١٩٤٠ كما ذكر بشير السباعى فى ترجمته لمختاراته من أعمال جورج حنين.

غير أن دنيا بشير السباعى – المتواصلة مع تلك المدرسة – اتسعت لتنتج (خبزها الخاص) حتى لو كان مجرد جرح مفتوح يحاول الالتئام. فالمرء يحيا على كره منه فى مخزن غلال يرتج كل ما فيه (من أشعار جورج حنين) ولذا فقد أنتج أشعاره الخاصة التى قرأت منها مجوعتين: مبدأ الأمل – وتروبادور الصمت، والتى يهتز وجدانك حينما تراه مختفيا– فى واحدة من صوره الشعرية لكى لا يروك فى حانات عماد الدين وأنت تهرب من صحبة الشعراء المأجورين، وهو ما يدفعك أن تطالع هذا العدد الوافر من الترجمات، وعلى رأسها: ازدهار وانهيار حاضرة مصرية عن مدينة قوص (من تأليف جان– كلود جارسان) بالإضافة إلى بحوثه ومقالاته التى جمعها فى كتابه مرايا الانتلجنتسيا والتى تمور بالأفكار الثائرة على ما هو كائن لحساب ما يمكن أن يكون، والانتلجنتسيا، مصطلح أطلقه الثوريون فى روسيا قبل عام ١٩١٧ على المثقفين أو على النخبة المثقفة من الطبقة الوسطى، والذين ينتمى إليهم بشكل أو آخر هذا الفنان الهادئ الراقى والمبتسم دائمًا: بشير السباعى، والذى ينتج بجهده الخاص– إبداعا وترجمة بعيداً عن أية مؤسسات فى معنى من معانى الفن والحرية. خالصًا من الهوى والموقع المتميز.

١٩٩٩/١/٣١

عن .. أنور لوقا

لا أعرف لماذا يميل أدباؤنا المهاجرون إلى أوروبا نحو الخوض فى أدغال بحيرات القرن التاسع عشر، تلك التى توقدت فيها بواكير العلاقة بيننا وبين أوروبا، ابتداء من الحضور الأوروبى الاستشراقى فى بلادنا، فى مرحلته الزاهرة، بالسلاح وبالقلم، ثم مرحلة رفاعة الطهطاوى: أول حارث لأرض العلاقة الثقافية بيننا وبين أوروبا، حتى أثمرت– فى بلادنا– طه حسين ورفاق عصره فى بداية القرن العشرين، بهاء طاهر كتب عن أبناء رفاعة، وأنور لوقا وضع كتابه الجميل (عودة رفاعة الطهطاوى). دارسًا مراحل استفاقة الفكر فى ضوء الأدب المقارن، وهو الشق الفكرى الذى يتتبع تلاقى النصوص بيننا وبينهم، سواء بالتأثير والتأثر، أو بالاقتباس والاقتناص، مع أهميةبحث وتمحيص جهود من تجاورت صورتاهما: رفاعة الطهطاوى المصرى، وخير الدين التونسى، واللذان (يتشاطران

بالفعل كثيراً من الأفكار التقدمية، يقتبسانها من النمط الغربى، ويؤصلانها فى تعاليم الإسلام، ولا سيما الطموح إلى الدستور والتمثيل النيابى).

وأنورلوقا- الدكتور- ولد سنة ١٩٢٧ بالصعيد، ونال دكتوراه الدولة من جامعة السوربون- الفرنسية- عام ١٩٥٧ فى الأدب المقارن، وكانت رسالته عن الرحالة والكتاب المصريين فى فرنسا فى القرن التاسع عشر، كما قام بإعداد رسالة تكميلية لتأصيل نصوص رفاعة الطهطاوى فى (تخليص الإبريز فى تلخيص باريز).

وكان مثل كثيرين من المستنيرين المبكرين- مغرمًا بكتاب طه حسين الفتنة، الكبرى فترجم إلى الفرنسية الجزء الخاص بعثمان بإشراف طه حسين نفسه، ثم ترجم الجزء الثالث من الكتاب الشهير: الأيام، فى نفس الوقت نقل إلى العربية عدداً من روائع الأدب الفرنسى الكلاسيكى والحديث وكما جاء على ظهر الكتاب الذى أرسله إلينا من جنيف فى سويسرا، واستغرقت رحلته بالبريد أكثر من شهر، حيث جاء فى إهدائه ذى الخط المنمق الجميل أنه تذكار للقاء قديم فى الصعيد. دعنى أعترف بأننى قضيت عدة ليال بين ضفاف هذا الكتاب الجميل، والذى أثار فى الفؤاد شجونًا حول البدايات الأولى لتواصل الثقافات بيننا وبين الغير، وهى مرحلة لا يعرف عنها الآخرون كثيرا، مع أنها لا تزال تطرح فاعليتها المؤثرة فى إبداعاتنا حتى اليوم.

١٩٩٩/٢/٧

مصطفى أمين

الكارهون والمحبون والعاشقون والمناوئون لهم رأى، ولهم موقف من مصطفى أمين، لا أحد يمكنه أن يمر عابرًا دون أن ينتبه جيداً إليه، مع أن هذا العصر يحمل فى جوفه العديد من الذين يكتبون ويتناقشون وينتفخون ويصرخون ويحتجون وينبهون دون أن ينتبه إليهم أحد، وتظل تعانى كى تتذكر منهم أى واحد، ذلك الولد القروى الذى كنته فى أواخر الخمسينيات، ماذا يفعل حين يكون قد تجاوز العاشرة من عمره بقليل وبين يديه كتاب: هكذا تحكم مصر، حيث تتوالى الصفحات ذات الطباعة الخضراء (الزيتى)، ليجد هذا الولد جميع أصناف الوزراء ورؤساء الوزراء وقد انحنوا على كف صاحب الجلالة المليك المفدى: تقبيلا مع ملاحظة أن جميع الأصابع والمعاصم والرقاب قد تم ترصيعها بالماس والزبرجد والمعادن النفيسة الأخرى؟

بالصحيح وبالتجاوز وبالإدراك وبالخطأ أصبح آل أمين – على

ومصطفى – جزءًا من تاريخ هذه الأمة ونسيجًا حيويًا فى وجدانها، فالمسألة أصبحت خارج إطار التفاعل الوقتى العاطفى إلى دائرة القيمة الأساسية فى الصحافة والكتابة والتحديث والريادة والاحتكاك والاحتدام والمثابرة، هكذا يكون هؤلاء الذين اخترقوا الصعب والجديد، واتجهوا نحو الضوء متجاوزين كل ما هو مؤقت، ولا سيما أن ثورة ١٩١٩ فجرت فى الآفاق المصرية إمكانيات ظلت حقبة طويلة بعيدة عن قدرات أبناء هذه الأمة: طلعت حرب فى الاقتصاد وجوج أبيض ويوسف وهبى ومنيرة المهديةوأم كلثوم والريحانى وعبد الوهاب فى الفنون، ويمكن لك أن تضيف روز اليوسف للفن والصحافة معًا، محمد التابعى ومحمود عزمى وإبراهيم المصرى ومصطفى وعلى أمين فى كافة فنون الصحافة: مهنة وتقاليد وكتابة، فى التعليم والشئون السياسية والزراعة والتجارة والسماد الكيماوى واختراق الصحراء واكتشاف الواحات وعلوم البحار، كل فروع الأداء والمعرفة وإقامة الحضارة جاءت على أيدى هذه المجموعات المتوازية المتواكبة المتوالية، جيل ظل قنطرة للتحديث والتغيير والخروج من المأزق الموروث بصفتنا أهم أمة فى الأرض. كان مصطفى أمين فاتحة للعيون صباح أى يوم، تأتى «فكرة» لتحيى فينا الأمل وتستثير النبل، ورثها عن أخيه (على) وظل يراعيها دون أن يتوانى فى الحفاظ عليها، لتظل وارفة– مساحاتها البسيطة– لتظلل ملايين القلوب العربية، شدًا وجذبًا وجدلاً، حتى يوم انتخبوه عضوًا بمجمع اللغة العربية اعتذر فى تهذيب شديد، لأنه رأى أنه لن يكون فى الوضع المأمول بسبب السن، وبسبب نوعية الأداء اللغوى، كان

صادقًا مع نفسه ، مع أن غيره يلف ويدور متهالكا يتمنى لو أصبح عضوًا مع الخالدين.

مصطفى أمين ستظل عضوًا خالدًا دون الدخول فى أى تكوين يؤدى للخلود.

١٩٩٧/٤/٢٠

الدكتور شتا

هو المترجم المتدفق المدرك إبراهيم الدسوقى شتا، والذى كان أول من قدم العمل المؤثر الحديث والحداثى- بغض النظر عن مرور سنوات بعيدة على تأليفه - وهو: البومة العمياء، للكاتب الإيرانى صادق هدايت، والذى يفوق كافكا الشهير فى الكوابيس والضغوط وتمزيق أجساد الأحباء- مع أهمية المحاكمة أو الإحساس الضاغط والشخصى بالوجود- ومشكلة صادق هدايت أنه إيرانى، شرقى، فارسى، لا تحميه حضارات تغزو أسواق المعرفة الغربية لتعيد إلينا تصديرها فى الشرق، ولا تساعده على تثبيت اتجاهاته سلطات إيرانية مشغولة بالانحناء الدائم بين أقدام سلطة الشاة- مثل كثير من سلطات العالم الثالث، أى تلك التى تنظر إلى الإبداع الثقافى من زاوية إعلامية تخدم العرش جمهوريًا كان أو ملكيًا، وكان الدكتور شتا المتخصص فى اللغةالفارسية بمختلف تطورات بنيانها- قد

اخترق هذه البرارى الثقافية التى توقفت معرفتنا بها فى حدود هذا الصوت العريض العميق الصارخ لأم كلثوم بين رباعيات عمر الخيام أقصد رباعيات أحمد رامى، وقد ذاب عمر الدكتور شتا فى نقل كثير من النصوص الفارسية- الكلاسيكية، والحديثة، ولعل مطالعاته فى الرواية الفارسية كانت خطوة واسعة أخرى فى هذا المجال، حيث قدم نقداً وربطاً، وتقييما لسبع من أمهات الروايات الفارسية، كى نفهم من خلالها الكثير عن إيران وبنائياتها الدينية والاجتماعية والسياسية، والصراع الطبقى المستعر- بالعرض على اتساع الجغرافيا، وبالعمق فى الكيان الشخصى أو القومى، وهو ليس من نوع الصراع الطبقى الذى قامت من أجله النظريات الغربية، إنما هو نوع من التصادم والتفاعل والرفض والقبول إزاء الاعتناقات الدينية- حتى داخل الدين الواحد.

وكان آخر جهود هذا الرجل العظيم- إبراهيم الدسوقى شتا- ما أصدرته مكتبة المجلس الأعلى للثقافة من ترجماته للمثنوى، وهو ما يجعلنا نحنى رءوسنا إجلالاً لهذا الأستاذ، لأضع فوق قبره هذه الزهرة الصغيرة، لا أملك سواها.

١٩٩٨/٨/٢

ظاهرة أدونيس

لم أحاول من قبل أن أتصور أن الشاعر أدونيس لغز يحتاج إلى تفسير، أو إلى حل، إنما قرأته من زمن بعيد كما قرأت صلاح عبد الصبور، والبياتى، والسياب، دون أن أقع صريعًا لأحدهم، مع أنى لست شاعراً، أو أن أكيل الاتهامات لأدبهم مع أنى أحب الشعر أكثر من العديد من الشعراء، الجميع يعمل لصالحى. مادامت الشعلة المتأججة فيهم ليست زائفة..

ومن الواضح أن عدداً كبيراً من الشعراء المحدثين فى العالم العربى تأثروا بالشاعر أدونيس، وأعتقد أن تأثيره فى مجريات الإبداع- نثراً وشعراً- لا يزال أقوى من أى سطوة لأى مبدع آخر فى الثلاثين عاما الأخيرة حتى أن بعض الشعراء يكتب نثراً ليتغزل فى شخص أو أدب أدونيس، وبالتالى يصبح ذا أهمية أن يتصدى لظاهرة أدونيس من يستطيع تحليلها بشكل علمى ومحايد، دون الزج بالاتهامات أو التجريح أو المبالغة فى المدح والإعجاب.

أهمية ذلك ترجع إلى أن كتاباً مثل (أدونيس منتحلاً) سوف يقع بين قوسين من الشك والارتياب فى أهداف مؤلفه، إنه يتهم أدونيس بإعادة صياغة إبداعات الآخرين الشعرية والنثرية لتصبح إبداعًا خاصًا به ومن خلال العمليات المتوالية لإثبات هذا الانتحال فى كل الكتاب، كان يثير أسئلة لا يقصد إثارتها، لأن القسر والتكلف واضحان فى حيثيات تدليله وإثباته كما أن اعترافات شخصية تناثرت بين السطور، فمؤلف الكتاب عمل سبع سنوات مع أدونيس فى إحدى المجلات الأدبية، ويؤكد أنه لم ينشر أية بحوث أو دراسات له فى هذه المجلة التى يرأس تحريرها أدونيس ، عدا موضوع واحد يختص بتغطية ندوة، وهو هنا يود أن يقرر قدرته الفائقة على التسامى فى هذه المجلة التى يشتغل فيها، فيؤكد فى نفس الوقت أن ذلك قد يكون وراء الكراهية التى يعوم فيها الكتاب حتى ولو تدثر بغطاء يبدو بحثيًا وعلميًا.

إن فكرة الانتحال- لو تم تطبيقها بهذا التعسف- لوقعنا جميعا فى المأزق الذى يجعل ورود لفظ الشمس فى بيت شعر لأبى تمام ثم بعد ذلك عند أدونيس، يهيئ الأسباب للانتحال حيث يحتشد الافتعال فى كثير مما يثيره من قضايا، حتى أنه أثار عندى الرغبة فى السخرية بهذا المنطق، مع أنى لا أعرف أدونيس شخصيًا ، بل وأضيق ببعض تلاميذه والمتأثرين به لدرجة العداء.

وهذا كله لا ينفى أن أدونيس ظاهرة أدبية حديثة جديرة بالتحليل دون الاتهام.

١٩٩٨/١٠/١٨

عن يوسف باشا وهبى

ضايقنى يوسف وهبى كثيرًا، كان يمثل – ما اكتشفته بعد ذلك- معظم مالا أحب التكلف والتصنع والافتعال والمفاهيم الثقافيةغير السليمة على إطلاقها وبدون انزعاج فإن هذا الرجل العظيم- لم أقل الممثل- قدم للحركة المسرحية العربية مالن يفوقه فيه أحد، كما أنه- كما روى عنه، كان مرتبًا منظمًا شديد المحافظة، على ارتباطاته ومواعيده، لا يكيد ولا يلف ولا يدور ولا ينحنى، احساس دافق ورائع بذاته لكنه حين يصل إلى لحن باجانينى على الكمان، ويضع الكمامة أو النظارة أو البتاعة السوداء على عيونه فى فيلم «غرام وانتقام» من خلال موقفه المأساوى المرير كان يثير عندى شعورا مضادا لما يتمناه رغبة عارمة فى الضحك الساخر، أو إعلان الاستهجان، خشن غير مقنع فاقد التوصيل وهكذا يتأجج صوته بالانتقام فى «الذبائح» و«كرسى الاعتراف» وغير ذلك من مسرحيات ترج الجماجم، لكن

الأمر اختلف قليلاً فى مسرحية «بيومى أفندى» إلا أن خامة يوسف وهبى الممثل، حينماابتعدت عن رغبات يوسف وهبى المخرج وكاتب النص وصانع المسرحية وصاحب المسرح أى بعد أن تطورت أمور المسرح. أيامها. كما تطورت أمور السينما أى حين وقع بين يدى مخرج فنان جميل مثل فطين عبد الوهاب، تحولت هذه الخامة إلى نوع راق من الأداء الكوميدى السينمائى، شديد الامتاع دون تحفظ، كان مسرحه قد توقف وكانت الذاتية المغرقة فى الصراخ حول المبادئ والأخلاق قد جفت وأصبح يوسف وهبى جزءًا من تكوين أى ليس هو السيد المطلق فى التكوين، وهو أمر واضح جدًا لا أعرف إن كان المهتمون بتاريخه قد أدركوه أو لمسوه.

إلا أنى- من أيام- كنت أتفرج بروح صبيانية على فيلم فى التليفزيون من تأليفه وتمثيله وأخراجه: الأفوكاتو مديحة.. دعك من تفكك الفيلم وانعدام وحدته - يدعو إلى المحافظة على القيم والتقاليد والأخلاق الإسلامية، ويقابل جماعة أهل القرية من الفلاحين الذين منهم أبو يوسف وهبى نفسه، والذين يرعون هذه المثل، كانت الأسرة الثرية الغنية الفاسدة الداعرة الراقصةالمطبلةالصاخبة السكرانة فى حفلاتها العارمة، فى مدخل البهو أو القاعة كان موضوعًا تمثال الموسيقار الألمانى العظيم بيتهوفن إشار واضحة إلى أنه يمثل الاتجاه الفاسد الذى يدينه وهو مفهوم خاطئ تماما نجده الآن جزءاً أساسيًا من الثقافة الهشة لبعض الكتاب والفنانين.

١٩٩٨/١٠/٢٥

أبونا .. توفيق الحكيم

لعل توفيق الحكيم هو الكاتب العربى- الوحيد- فى العصور الحديثة، الذى تحس أن نفسه- بفتح النون والفاء - يتسلل من سطوره إلى خياشيم تفكيرك، عرفته مبكراً- ومبكرًا جدًا- قبل أن أنتبه إلى الفرق بين كافة فنون الإبداع: أى بين المسرح والقصة والرواية وقصيدة الشعر ثم بين كل ذلك والحوادث التى تنشرها الصحف.

(ملحوظة: لا يزال جمهور كبير من المتعلمين فى بلادنا أعلى تعليم لا يعرف الفرق بين كل ذلك - وبين الحوادث أيضًا) توفيق الحكيم السهل الممتنع قاد- فى فترة مبكرة - جحشًا- أى لم يصبح حمارًا بعد - وقام بتحميله بقضايا عصره السياسية والاجتماعية، ثم هو الذى ضرب التاريخ من عنقه (أسطوريًا مثل أيزيس وأهل الكهف وواقعيًا مثل الصفقة) وألقى به جميلاً راقيًا ورقيقًا على خشبة

المسرح، فهذا الرجل- الفنان الكبير- حرث أرض الإبداع مبكراً دون تعصب لنوع من الفن ضد نوع آخر، فألقى بالبذور فى الأرض المحروثة، لتنمو فى أفق الثقافة العربية مالم يحدث من مبدع قبله- أو بعده- كتب الرواية الرومانسية التاريخية: عودة الروح، والواقعية الأليمة فى.. يوميات نائب فى الأرياف والرومانسية الصافية فى.. الرباط المقدس، والقصة القصيرة المركزة فى.. مدرسة اليانصيب وليلة الزفاف، وأرنى الله، وأنا الموت، ثم إن توفيق الحكيم أقام المسرح العربى العصرى ليلتقى باتجاهاته المتعددة فى العالم كله، سبق أن أشرنا إلى الأسطورى والتاريخى الاجتماعى ثم كانت المرحلة الثورية التى قدم فيها.. شمس النهار، ومصير صرصار، وبنك القلق، ومسرحيات أخرى عتيدة يقوم بها خطوط التوازى مع الثقافة العالمية، دون أن تسقط من زواية النظر مقالاته الساخرة المرحة الشائكة: تأملات فى السياسة، وحتى عودة الوعى الذى صدمنا فيه بآرائه المختفية دون مبرر لإخفائها ، كان كتاباً جميلاً مثيراً للانتباه حتى لو كان معاديا أو صادما فأخطر من هذا التنوع عند توفيق الحكيم كان أسلوبه النثرى أو الحوارى ذو الجمال الحلو الأخاذ قادرا على أن ينفذ بصفته فنا داخل الجوانح لنستمتع به مع العقل فى رقصة متفاعلة، ذات أثر فى كل المبدعين من كل الأجيال.

ولعلى أشير إلى أن توفيق الحكيم ظل حبيباً لمتذوقى الفنون دون عداء أوعناء، أى لم يجابه ما واجهه طه حسين أو العقاد، كان ذكياً رفض الانضمام إلى أى حزب قبل الثورةحتى يمكنه أن يستمر ذا رؤية شاسعة تشمل كل العناصر، سخر من الأحزاب ومن التكتلات

السياسية ومن الاغتيالات ومن المباحثات ومن السلطات ومن الأفكار المتطرفه ومن التجارة بالأخلاق والدين، ظل مبتسمًا، رقيقًا رفيقًا، يحمل فى قلبه أثر الاهتمام بالدنيا وبمن يسعى فيها وعلى رأسهم: المبدعون..

لقد كان- أبانا الذى علمنا كيف نمسك بالقلم، وكيف نستخدم العقل، ونجح نجاحًا عظيمًا.

١٩٩٨/١١/٢٢

عبد الوهاب الأسوانى

جائزة الدولة التشجيعية – فى الرواية – هذا العام زحفت لتتسلق سيقان عبد الوهاب الأسوانى، لتصل إلى صدره فتتحول إلى مجرد زهرة صغيرة عاطرة، ربما تكون هذه الجائزة قد عانت وكابدت وأجهدت كى تصل إلى صدر هذا الكاتب الجميل – الذى هو – بأى مقياس فى العمر أو الانتاج أضخم منها، فمنذ روايته سلمى الأسوانية أوائل السبعينيات وحتى النمل الأبيض– هذه الأيام– والأسوانى يكافح ويدافع وينسى ويغمض عيونه ويحزن ويفرح، ثم هو من خلال كل ذلك يعشق الزهو العربى كرما وصبرا وحلما وشجاعة وصوتا عاليا، تراه وكأنه قادم من سلسلة ظهر عنترة، أو أن أمه عبلة أو ليلى أو هند بنت عتبة آكلة المرار، وقد ظهرت الفروسية واضحة فى أعماله المبكرة، ثم لم تلبث هذه الفروسية أن حوصرت بالوصولية والأنانية والتدليس والتكسب والنفاق فى عمله

الروائى الأخير، إنها مرآة العصر الصادقة تعبيرا عما جرى للفارس المصرى فى ربع القرن القائم وإحساسه بالمداهمة لم يجبره على التخلى- أو التروى- عن الشكل الكلاسيكى الأثير فى الكتابة الروائية، أى لم تستقطبه تيارات الحداثة من تمزيق وتدمير وتشرذم وتفتيت وتناثر- مع أكبر حشد من علامات التعجب والاستفهام والاندهاش.

إنه يسرد تحت سطوة جماليات الهدوء ورقة البلاغة ودقة الإدراك البيئة المنصورية الكامنة تحت كتف كوم أمبو.

وهى مرة أخرى- ليست منطقة نوبية- ولا دخل للكاتب فى تيار الكتابة عن تلك المنطقة، وهو من قلائل الأدباء الذين يحتمون بنظام الأسرة والأبناء دفاعا عن وجوده الكائن فى مدينة قلقة وشرسة تمنحك حرية وهمية لتضعك أسير عبودية ملونة وصاخبة، ذلك أن بيئته الأولى تضخمت فى جهازه العصبى وصنعت التوازن المأمول، سواء عاش فى القاهرة أوالإسكندرية، أو خارج الوطن، حيث يزداد الفنان توهجا فى الغربة، ويطغى عليه الإحساس بالوطن- عمقاً- أكثر من أى إحساس آخر.

وبالتأكيد سوف تكون الرواية القادمة لعبد الوهاب الأسوانى- تحية واجبة منه لنا نحن الذين نحبه، وهو ما يملؤنا سعادة أن نظل نقرأ له ويقرأ لنا، حتى لو تعثر أحدنا فى جائزة تثير المرح أكثر مما تثير من فخر.

١٩٩٨/٧/٥

غالى شكرى

كان قوياً، وكان شرسًا، وكان قادرًا على الرؤية أكثر من معظم جماهير النقاد الذين حوله، لكنه، إن استقرت جوانحه- أصبح غالى شكرى نسيمًا هادئًا مرحًا، ودافئًا، وساخرًا أيضا، وفى كل الحالات لا يفقد جديته وقدرته على الاستقطاب، قرأناه ونحن ضده، وقرأناه ونحن معه، وسيظل الجزء الذى كان يشرف على تحريره فى مجلة الطليعة والخاص بالثقافة، واحدًا من أهم المراعى الفكرية المؤثرة فى مكوناتنا ولعلة مازال قائما من تمرد فى كتابات جيلنا يرتد فى سبب من أسباب نشوئه إلى ذلك المرعى، وأية مطبوعة ثقافية تصدر الآن تتفادى مقارنتها بطليعة غالى شكرى، وفى السنوات الأخيرة أتيح له أن يرأس تحرير مجلة (القاهرة)، والأعداد التى صدرت منها يحتج بها تدليلاً على عصر الحرية القائم، فلم يكن غالى شكرى ناقداً أو محرراً، بل كان عالماً ثقافياً يمور ويثور ويهدر، قارنوا ما أصدره

منها ازاء ما صدر منها بعده، لتعرفوا المسافة بين مجلة تسعى لأن تسهم فى صنع تضاريس وجدان أمة، ومطبوعة تسعى كى تصبح مساحة لأكل العيش.

ولقد داهم غالى شكرى المرض المرهق منذ سنوات، كان الجهد النفسى المبذول من قبل قد بدأ ينهكه ، ولا تزال سنوات المنفى الاختيارى. التى عاشها هذا الكاتب المصرى مع غيره ممن وقعوا فى ذات الظروف تجلدهم وتفتت أعصابهم، حتى بعد أن عادوا من الشتات إلى الوطن، وحتى بعد أن حاول الوطن إتاحة الفرصة لهم كى يكملوا الخطوط دون قطع، فمنحهم الموقع والحرية، لكن الجو اختلف، والأوكسجين اختلت نسبةذراته، والجوانح ضاقت دون النسيان، والرقاب التوت إلى الخلف، أى إلى ما كان دون الانتباه إلى ما هو مقبل، وكان لابد لغالى شكرى أن يداهمه المرض، ثم أن يداهمه الموت.. دعونى أظل حزينا على غالى شكرى، الذى لم أكن قريبا منه فى يوم من الأيام، والذى كتب عنى- وعن زملائى- أعمق ما يمكن أن يدفعنا إلى الحزن الأعمق فقد كان منا، ونحن- بداية ونهاية- فؤاد الوطن، القوى، والشرس أيضا.

١٩٩٨/٥/١٧

ضياء الشرقاوى

فى هذا العالم لا يوجد أديب على شاكلة ضياء الشرقاوى، كان مخلوقا من أدب، وأعصاب، وموسيقى، وعظام، وإدراك جمالى، وحواس ومنظومة عقلية مذهلة، له قدرة فذة على التواصل مع الآخرين، واستيعاب ما يعنيه الآخرون، شديد السخرية بالأغنياء والمتخلفين وذوى الوجاهة الثقافية، لكنه كان يخفى ذلك، يبرزه فقط حين يكون فى مجال التفاعل، واحد يفهم ويدرك ويفك النظرات السريعة التى تحمل آراءه المحرجة، ضياء الشرقاوى كان هادئا، وكان مصلوبا على مشاهد العصر الذى لا يدرك معنى الموهبة إدراكا جيدا، وكنا جميعا نسهم فى تقتيله وتعذيبه: الأصدقاء، والوظيفة، والأعداء، والثقافة والضيق، والمنظومة الاجتماعية التى تعلوها الأسرة، وعناصر عديدة معادية له لم يتجرأ محمد الراوى بالاقتراب منها فى كتابه عنه (المغامرة الإبداعية- الرسائل الأدبية لضياء

الشرقاوى دراسة ونقد وقصص فقط، لم ينزل إلى شارع ضياء الشرقاوى، والكمين الذى نصبه القدر لهذا الكاتب الجميل، واستدرجه إليه كى يموت موتا واضحا بين أيدينا، الدكتور عبد الغفار مكاوى يلى محمد الراوى فى القرب من فؤاده، ثم محمد محمود عبد الرازق وتلتف الحلقة حوله، كان جديرا بنا أن ندرك ما يعتمل داخل جمجمته الضخمة، وجديرا به أن يعرف ما يدور فى رؤوسنا الصغيرة، حتى وهو يأكل أو يشرب أو يمزح أو يسمع الموسيقى، كان يكره اللون الأصفر والتهذيب المفتعل الذى يدارى خسة الذين يحيقون به العذاب، وكاد موته يعصف بنا، توقفنا جميعا عن الكتابة منذ رحيله فى أوائل نوفمبر ١٩٧٧ لخمس أو ست سنوات تالية، أنا بالذات لم أكن أصدق أنه يمكن أن يموت، وأن تظل صورته فى إطارها تعلو مكتبتى، كان مؤثرا، وكان إماما، وكان قويا، يعطيك انطباعا بالمسالمة لكن أقرب الناس إليه كان يعلم آراءه الحقيقية فى كثير من عناصر الحياة الأدبية، كانت آراؤه شرسة وثورية، قليل جدا منها تسرب فى كتاباته عن الآخرين، ومع كتاب محمد الراوى فتح الباب لكتابة جديدة عن ضياء الشرقاوى، وأرجو أن يقترب أحدنا من حياة ضياء الشرقاوى غير المكتوبة.

١٩٩٨/٢/١٥

سيدنا.. سليمان

أجمل ما فى تلك الجماعة التى جاءت فى المساحة أو المسابقة الدقيقة بين جيلنا وجيل يوسف إدريس أنها كانت الغشاء الواقى من الأعاصير والمداهمات والانفلات واختراق طبقة الاتزان، هكذا كان أبو المعاطى أبو النجا، وعبد الله الطوخى، وصبرى موسى، وعبد الفتاح رزق، ثم هكذا كان سليمان فياض. ليعود للنص الأدبى قدرته الفائقة فى الهمس الإنسانى، أن يظل التعبير مجالا للإفضاء والمصادقة والمراوغة والمناورة كى يقودك إلى مناطق ظلام حزنك الدفين، كان يوسف إدريس إعصارًا فريدًا لا يتكرر. فجاءت الجماعة الحانية الحنون التى تبيح لك أن تتكئ على كاهل النص الأدبى الصديق ليسير بك وسط الآكام والكهوف والصخور والغابات لتصل إلى العيون المتدفقة أو الأصوات ذات الفحيح ، والتى يمكن لك أن تشهد نتائجها فى حد تلك الموسى. الأداة الناعمة ذات القدرة الفائقة على القطع، ليسيل الدم المتدفق من سيمون الفرنسية- المفترشة- أو المشدودة بين يدى نفيسة

فياض، أقصد أداة سليمان فياض لتموت سيمون غارقة فى الدم تحت إيقاع دموى يرفض هذا «الختان» أو الطهارة المرتبطة قسرا – وظلما– بالعقيدة وحين يمتلىء وجدانك بالشجن المعذب يمكنك أن تستحضر– فى هدوء– ما فعلته عميلات يوسف إدريس فى بطلة حادثة شرف حين افترشنها كى يكشفن عما يكون قد أصابها أو أصابهم أو أصابهن– من أثر مزعج للشرف المهتز المضطرب، وبين الموقفين كان لابد أن نجد الصبر والسلوان والرفض لكل ما يحدث حولنا من عادات ورواسب وعوائق معطلة للحركة، ظل سليمان فياض مشغولا بذلك ومهموما بالإعلان الهادىء عن وسائل وحيثيات رفضها فنيا، مع إدانة دائمة للجماعة، دون إنصات لما تمليه وسائل التقرب من نفس الجماعة والتى احتمت وراء كثير من الشعارات– المراوغة فى سلوكها غير الحضارى، وبالذات فى ظروف كتابة تلك النصوص.

والآن يمكننا أن نحيى هذا الجيل الذى منه سليمان فياض صاحب العيون وزمن الصمت والضباب والصورة والظل، والفلاح الفصيح وأصوات، وغير ذلك من أعمال استراحت فينا واسترحنا فيها. بمناسبة بلوغ سيدنا سليمان سن البلوغ الثانى، ليمد الله فى عمره حتى يبلغ سن البلوغ الثالث وليظل يمنحنا هذا الإحساس الغامر بالتواصل مع أعماله إعجابا أو رغبة فى الهجوم عليه، أو على نصوصه الجميلة، وعلى كل نصوص الجيل الذى ينتمى إليه.. أيضا.

١٩٩٩/٥/١٦

المازنـــى

كنت أتقافز خلف أرسين لوبين وأدخل المعارك مع الفرسان الثلاثة، ثم أقضى وقتا غارقا فى حزن مفعم بالفضيلة بجوار الأنفاس الأخيرة لغادة الكاميليا، حتى أننى– ذات ليلة– وقعت فى براثن المصادمة الإنشائية الوجدانية الجارفة بين ملك وابنه يتصارعان فى سبيل تاج المنفلوطى ، لكن قلعة بسكرفيلد الإنجليزية استدرجتنى لاستخدام التحليلات العقلية، كما أشارك شرلوك هولمز فيما وصل إليه، الأمر لم يستمر طويلا حيث قطعت غيلان الكتابة كل الطرق التى تؤدى إلى هدوء الخاطر: إحسان عبد القدوس وطه حسين الأسلحة الفاسدة والشعر الجاهلى والنظارة السوداء، بعدها كان مناسبا أن استريح قليلا فى روضة بالغة الرقة والعذوبة، إبراهيم الكاتب وقبض الريح، كان المازنى قد شارك فى الموقف الثورى الشهير ضد الشعر المنظوم الجزل قوى البيان الذى نادرا ما يعبر عن الذات، العقاد هاجم شوقى، والمازنى سخر من حافظ إبراهيم، وعبد الرحمن شكرى شارك عمليا فى اختراق جدران

القصيدة العربية الموروثة، لكن المازنى كان قد ترجل عن صهوة الفروسية وبدأ يحمل نفسه متسكعا بين جوانح الأسلوب الجديد، كان هذا الفنان كاتبا صادقا، أنفاسه دافئة مسامرا عذبا، عيون كلماته تتفتح على الداخل والخارج: الذات والعالم إن أخطر ما قدمه المازنى فى إبداعه روح الاعتراف التى تمزج بين ما جرى له وما يجرى داخل نصه دون أن يقع تحت طائلة القواعد المدرسية للقص والتى تفصل بين الراوى وصانع الرواية جعلنى هذا الفنان وفى مرحلة القراءة المبكرة أستغرق فى طبقات النص ثم أسمو إلى أعلى فى حالة من الشجن المنير، إنه لا يسعى بين قواعد المقدمة والعقدة والحل، إنه ذاته كل المقدمات وكل العقد دون اهتمام بأى حل، الأخطر- والأكثر تأثيرا دون أن ندرى- أن المازنى-ذا الأسلوب السلس المرن الساخر- ابتدع فى النص العربى فكرة أن يكون كل العالم بتكويناته ومشاعره وأديانه جزءا من النص الأدبى، وتشكيلات النص الأدبى، أرجوكم لا تقللوا من شأن افتتاح فصول إبراهيم الكاتب بنصوص من نشيد الإنشاد فى العهد القديم، لقد فتح لنا أبواب البستان العربى العصرى على عالم غائب من المعرفة والإدراك، كان هذا العالم قد تراجع للخلف بتأثير المفاهيم الدينية السائدة- والتى لا تزال سائدة، إنها بالتأكيد تصلح للسلوك، لكنها- حين تكون فنانا- يصبح كل ما يحدث حولك وما يحدث فيك جزءا من تكوينات المعرفة، التى قادنا إليها المازنى واستفدت منها جيدا كى تكتمل الدورة الإبداعية لجيلى، والذى حين تطل عيونه من الكوة تئن له أحشائى.

١٩٩٩/٦/٢٧

أبونا شكرى

لم يكن شكرى عياد فردا يعمل داخل حدود طموحه الشخصى، كان هذا المصرى شعبا يمور ويدور ويتفاعل داخل كيان فرد قوى طيب، جوانحه الواسعة تفرز قدرا مذهلا من الإحساس بالآخرين، ونصوص الآخرين وهو الذى قضى ربع القرن الأخير من حياته يحنو على ما نكتبه بشكل أبوى- بل أموى- جارف، أخرج كتاباته- فى حالات معينة- من دائرة النقد الموضوعى إلى المجاملة العاطفية القائمة على الرغبة العظيمة فى التشجيع، فلم يكن يميل إلى كسر خاطر كاتب مبتدئ، ولا أن يشير بشكل سافر إلى نقاط ضعف قصة أو قصيدة، لكنه لم يكن يتستر على ذلك، إنه يومئ بالفطنة المهذبة الذكية إلى أى قصور أو خلل فى النصوص، غير أن أصحاب هذه الكتابات كانوا يبرزون كالعادة ما يكون تشجيعا إيجابيا فقط مع أنهم لو أنصتوا إنصاتا جيدا لقراءته وآرائه لاستفادوا وتجاوزوا

مواطئ ضعفهم.

وترجع سخونة عواطفه الأدبية إلى أن هذا الرجل الدارس الفاهم المدرك كانت له إبداعات مبكرة خارج دائرة النقد والتحليل، فقد أبدع الدكتور شكرى عياد عددا وفيرا من القصص القصيرة من زمن مبكر، أولاها فيما ورد فى سجل القصة القصيرة للدكتور سيد النساج كانت – رجلان وامرأة – والتى نشرت فى مجلة الجامعة عام ١٩٣٧ وظل- بعد سنوات- يثرى جريدة المصرى الشهيرة بالنصوص القصصية المتوالية تلك التى ضمتها مجموعتاه: ميلاد جديد ١٩٥٨، وطريق الجامعة ١٩٦٣، وبالتالى فإن تذوقه للنص الأدبى راجع- فى بعض منه إلى سليقة المبدع لتكتمل مع القدرات الفكرية للتنظير والتحليل.

وقد كسب جيلى كله- بلا تفرقة- تشجيعا قويا من التعاطف العظيم والعميق الذى عاملنا به شكرى عياد. حتى لو كان بعضنا أساء استخدام هذا التشجيع دون أن يخطو خطوة واحدة إلى ما كان يأمل أستاذنا الراحل، هذا الأب الرءوم والذى ظل بالغ الحب والود والنصح الهامس أيضا.

١٩٩٩/٨/١

استغاثة.. من المعرفة

إننى- كاتب هذه السطور – فى حاجة قصوى لمن ينقذنى من أحمد مرسى، هذا الذى استغل طيبتى المعهودة وحسن النوايا المنتشرة فى أفكارى فاستدرجنى إلى منخفض بالغ الخضة دون إن أنتبه أننى أخر الأمر أصبحت محاصرا بجبال صخرية شرسة بالغة الارتفاع، إذ أننى يا أصدقائى ظللت طوال الأحقاب الماضية: سائما فى البرارى، أفخر بأننى متآلف مع كل هذه التكوينات المصرية التى تتداخل فيها المواويل مع التوسلات، والابتهالات، ورسوم الجدران، ومداخل أفران الخبيز، وزخارف بيارق أتباع أولياء الله، وتمتمات فتح الأبواب وتحريك الضمائر ، ومقاطع العديد واللطم والانتحاب فقدا للاعزاء أو هجاء للخصوم، ونقراً على الرق ترقيصا للقرود، ونصوص الأحجبة والتمائم للوصول إلى المبتغى من اللذة أو الانتقام، كل العادات والتقاليد تصنع مراوحتها المتداخلة مع الأمثال والحكم العابرة واللغة المتداخلة مدحا وتقربا- أو نفاقا- للأقوى، تسيل أو تتسامى أو تتراقص مع أغانى

الجماعة، فى الحقول وبطون الترع ومداخل القناطر والأهوسة، أو بين ثغرات نداءات الباعة وصياح الجاذبين إلى الموالد والاحتفاليات وساحات التراقص، تحت سكين ذبح الحيوانات أو على أطراف حلمات أثداء اللبن السرسوب افتخارا بأمجاد العائلات والقبائل والنجوع والكفور، وكل أنواع البلاد التى تتلكأ حولها قطارات تحتوى على بعض أقوالها، أو تصورا ضروريا لخبراء يروون وقائع العفاريت الكامنة وراء البرق والرعد والعواصف وأعماق الآبار وجحور الأرانب وكهوف العفاريت، بسم الله الرحمن الرحيم أتجول وسط كل ذلك دون أن أدرى أو أعرف أكثر مما تدريه أنت عن حركة الشهب ومعنى الديمقراطية وبؤس الكفار والملحدين والخارجين على رضاء الوالدين.

فإذ بأحمد مرسى- يشرح لى كل ذلك فى كتبه المتوالية، يرصد الظاهرة وخصوصية قيامها فى الشعب، ثم لا يلبث أن يقوم بتحليلها لترتفع علوم الفولكلور حولى شامخة رائعة جميلة وخائفة والأدب الشعبى والخرافة والأمثال وحكايات الناس، ليستيقظ عقلى كى يفهم ويدرك عناصرها الأساسية ومدلولها الاجتماعى والسياسى.

إن الفهم والإدراك هما العدو الأساسى- يا سادتى- للتلقائية، ويحولان بينى وبين الاندماج البدائى مادمت شديد اليقظة، لأحس بهذا الحصار للجوانح حينما تفقد قدرتها على الاحتواء تاركة الأمر للنور العقلى الأخاذ، وهو مالا أستطيعه الآن- تحت سطوة هذه الجبال الشاهقة.

١٩٩٩/١٠/٣١

إنه.. عدلى رزق الله

هذا الكائن الممتد بين عنق أبنوب الحمام وجوانح القاهرة ومشط رجل كنج مربوط: عدلى رزق الله، ذابت أنفاسه – فى التنفس بين رئتى الشيشة – كى تسمو فرشاته الرائقة الشفافة السابحة فى الهواء الطلق، يبدو بريئا صبورا كى يحافظ على نقائه واستوائه وانفعاله وحبه الجارف للعالم الصبيانى المنساب زهرة وشجنا وعشقا وإمعانا، أكاد اخترق خلاياه حتى أصل إلى جوهره الحارق المشتعل، قديسا يكمن فى صومعة العالم، ثم تداهمه «تاييس» تلك الغانية العابثة الثرية التى فتحت فى أتون النار المقدسة كوة للعالم والدنيا والبيت والفرشاة والخطوط والزوجة والحروف والفاكهة والذوبان والعذوبة والأفق الممتد إلى آخر أعماق غيوم السماوات العلا، تحت الأرض أو على جدران الملكوت، فى باريس أو القاهرة أو الوجد المتفاعل مع الوطن، عدلى رزق الله، فى الحزن والابتسام

وصوته المتسلل فى اليقظة الأولى لبواكير الصباح، والذى لا يصلح للتآمر والخداع والوقوع فى شروخ الأمنيات الهزيلة التى استدرجت عددا واضحا من رفاق رحلته الطويلة وهى ذاتها الأمنيات الهزيلة التى وقع فيها رفاق رحلتنا بعدة سنوات قليلة. فى حين يظل تفاعله- مع الخلصاء من أقرانه- مشهدا عذبا ساريا بين كل سطور سيرته الذاتية: الوصول إلى البداية فى الفن والحياة أنه العزاء والسلوان ومتعة التحمل أن يكون الطريق محفوفا بالجمال الهامس القلق التلقائى فى: زهران سلامة وإدوار الخراط وبدر الديب.. وآخرين يقتربون ويبتعدون، يكتبون ويناقشون، ويمرحون ويختنقون.. ثم تنفرج آيات انبثاق النور المتألق فى رفيقةالعمر والتى تريق أنفاسها الحميمة فى فرشاة هذا الفنان المصرى الجميل ليصبح الفن خارج دائرة وقوانين ونواميس الوجود، وليس قبضا للريح، لأنه ليس جزءا من الكل ليصبح باطل الأباطيل، إنه الفن- النشوة الكبرى، وأوج لذة التواصل بين الفنان والوجود، فى مداركه المتعددة ومدارجة المتماوجة فى الإبداع العظيم دون الاهتمام بالوصول إلى البداية أو النهاية حتى لو زعم هذا الفنان فى أوج تجربته الرائعة، أنه فرح بهذا الوصول المرهق والجميل، والذى أخفى تحت زهوره اليانعة أمورا أخرى بالغة المرارة، إنه عدلى رزق الله.

١٩٩٩/٩/١٩

عبقرية دالى

قادنى كامل زهيرى - الأستاذ - مبكرا فى دروب التيارات غير الواقعية للفنون، كنت أيامها ذلك الصبى الذى لم يتيحوا له فرصة إكمال تعليمه، أعانى من البلهارسيا والإنيميا والجهل الجميل، وديروط الشريف- قريتى المصون- تتلوى طربا تحت وقع أجهزة الراديو التى بدأت تغزوها والتى بسببها نشطت الآذان لنسمع شيئا غير أبو زيد الهلالى ودياب إبن غانم وحسن ونعيمة حيث داهمت «سمارة» ذلك المسلسل الساذج جماهير ديروط الشريف وجعلت المتعلمين ينتظرونها فى تجمعات صغيرة حول دكاكين أبو حسيبة المكوجى وأنور الشريف- وشحوت أيضا، فإذا بكامل زهيرى يقبل حاملا كتابة بيمينه عن الفنون التى اخترقت العقل وصنعت خيالا آخر يتداخل فيه الواقع مع المتخيل مع المنسحق قديما فى قاع الذاكرة، فتراجعت سمارة للخلف ساحبة معها عددًا مذهلاً من

الأوهام الرومانسية المريضة فى السينما والإذاعة، وبدأت أمعن فى الرسومات المعبرة التى قدمها يوسف فرنسيس إن لم تخنى الذاكرة ومنها عرفت معنى ألا يكون للوجود معنى، وفهمت طغيان الباطن لحساب الظاهر أثرا مباشرا لما أحدثته آراء وتحليلات فرويد، وداروين أيضًا، وأن كل ما نراه من مخلوقات وتكوينات إنما هى تشكيل مؤقت لا ندركه بالإمعان البرئ المستقر، دورات تثرى فى الواقع والحلم والعلاقات والتخليقات والرغبات والعلوم، وكان سلفادور دالى على قمة الإدهاش- بالنسبة لى أكثر بمراحل من (ساجال وبيكاسو) وكل العفاريت الحمراء التى قبلت معنى الفنون، وتسيدت أعمالهما المعارض والديكورات المعاصرة.

كان هذا الأسبانى- سلفادور دالى يفوق بيكاسو فى قدرته على الاحتفاظ بجماليات التكوينات الحديثة له رقة شاعرية بالغة الرهافة فى أبلغ أداء، حيث ترتاح العين إلى تفاصيل لوحته- وإلى شامل لوحته - وإلى معانى لوحته الصدور الممزقة وقد احتضنت سيوفا وجماجم وأزهارا وسحالى ومفاتيح الابواب المفتوحة، بل ويزين لوحاته متعة أن سلفادور دالى ذاته صاحب العيون النافذة والشارب المسنن كالسيوف المشرعة، لوحة غريبة اخرى أى أنه جزء من لوحة قائمة فى السلوك والشكل والأفكار والخيالات والألوان.

هذا هو الذى جذبنى لقراءة يوميات عبقرى، التى كتبها سلفادور دالى وترجمها الصديق المثابر أحمد عمر شاهين وتولت دار الهلال إصدارها لنلمس كافة تحولات عقل هذا العبقرى، وأخطر ما فيه أنه كان يعى ويدرك أنه عبقرى، وكانت حياته كلها على نمط مخالف

لكافة البشر حتى أنه صمم بيته على شكل بالون تحديا منه لكل السائد من أشكال البيوت، وكان دالى مصمما على أنه حالة فن وليس مجرد فنان مثل غيره، وأن الريح والزوابع والسيول لن توثر فى تكوينات شاربه المشرع حادا، إنما الذى يؤثر فيه هو الانهيار النفسى والإحباط وانتهاء صلته بالإبداع (هذا كله لم يرد فى المذكرات) لذا ظل يفخر بأنه لا يعرف - ولا يحب التواضع.

١٩٩٥/٤/١٦

جائزة بهاء طاهر

بحصول بهاء طاهر على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب هذا العام يكون الخط العازل بين جيلنا وبينها قد تخلخل وانهار، ذلك أن الأمر فى هذه الجوائز يخضع لمجموعة من الأعراف غير المكتوبة، وغير المسجلة فى قانون أو لائحة، أن يكون حائزها المختار عجوزا أو صاحب منصب أو ذا تأثير- واضح جدا- على لجان الاختيار، ونادرا ما حصل على هذه الجائزة من كان أقل من السبعين عاما، ويترتب على ذلك أن تصبح متعة الحصول عليها خارج الحلم والأمل والأمنية، حصان يمنح لشخص مستكين فقد زمان الأمل أن يكون فارسا، وبهاء طاهر خارج كل هذه الأعراف حتى لو صمم أن يبدو حزينا ومعتلا، لا منصب ولا هيمنة ولا انتماء لموقع مؤثر، إنما هو نص أدبى خالص يسير على قدمين وأقصى ما يمكن أن يجازف به صوته البشوش المرح المنساب فى دفء من سماعة التليفون، ولعل

أخطر ما نحب أن نفخر به إزاء بهاء طاهر أنه صاحب خالتى صفية والدير، وبالأمس حلمت بك، وأنا الملك جئت، دون أن يتلوث ذلك بموقعه القديم فى البرنامج الثانى الذى أصبح البرنامج الثقافى، أو بعضويته فى لجان القراءة والمسرح والمجلات، وما إلى ذلك من أمور فقدها منذ ما يقرب من عشرين عاما، ليواجه العناء والغربة والعذاب والحصار، حينذاك بدأ بهاء طاهر يصبح أديبا خالصا ونقيا ليفتح الباب هذا العام أمام جيله الذى حوصر مرارا، ولا سيما هؤلاء الذين لا يملكون سوى خطوة الإبداع، وشرف الانتماء إلى النص الأدبى الخالص.

وقيمة هذه الجائزة التقديرية بالنسبة لبهاء طاهر ليست مادية بالمرة هذه المرة، إنما قيمتها الحقيقية فى معناها الوطنى، ودلالتها المصرية ، وإشاراتها السعيدة تتويجا لما أنجزه هذا الصديق، فى الستين عاما الأولى، وما ننتظر أن ينجزه فى الستين عاما التالية– قل إن شاء الله.

١٩٩٨/٦/٢٨

سحر طلعت شاهين

ظلت الأجواء المصرية تحاضرنى من خلال الأيام التى قضيتها بين ثنايا قصائد نساء أمريكا اللاتينية: الخيار، والبطيخ، وشباك صيد العصافير، والصراخ فى الريح، والشمام الذى يفوح سماويا، والنعناع المسكين». والكلبة التى تتبع خطواتك حيث تذهب، والنجمة التى تنحنى لك من شمس وصواعق والإحساس بالخجل أن تكون الأنثى وحيدة: تقضى اليوم والحياء الرهيب يلهب وجنتيها، ثم هناك التى تقص عليك أحلامها لترتعش روحها العارية بين يديك، وعلى كتفيك يثقل صليبها وأى أصابع تلك التى تتسلل عبر الأوتار لترتعش من المطر؟؟

والذى نقل هذا الجو الأمريكى الجنوبى – والمتطابق مصريا – هو المتهم المثابر الدكتور طلعت شاهين، عن الناقد الأرجنتينى خايمى عمر بيليزير، فقد التقيا فى اهتمام مشترك بجامعة نيويورك ثم فى

أنحاء عديدة من أوروبا والأمريكتين وبالذات فى مدريد الأم الرءوم للأدب اللاتينى الحديث (المقصود باللاتينى أمريكا الجنوبية) لكن طلعت شاهين كان وراء اختيار النصوص التى تضمنها هذا الكتاب (الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية)، مما أراق على القصائد المختارة العبق الخاص جدا بنا: فى النضال والضغوط والوقوع بين براثن الفرق بين ما نريد وما نستطيع، والإحساس الأنثوى المعاصر الذى داهم الكتابة الإبداعية بحثا عن منطلق يتسامى فيه تاركا سجن الذكورة متلفعا بقصائد نزار قبانى طلعت شاهين لادخل له فى السطر الأخير)، وهذا الإحساس الأنثوى يعانى مع ذلك بحيثيات البطش الذكورى به، عندنا وعندهم، ما يقرب من عشرين شاعرة تسعى بين غابات الأمازون وصخور شواطئ المحيطات، وتدرك معنى الحب دون أن يتحقق، وتسقط من السماء السيول فتداهم الأحلام والرؤى، يدهسها هذا المتغطرس الاخرق، الذى يظل رأس العائلة، لمجرد أنه الرجل ،(هى – الأنثى)– عليها أن تصفح عندما يخونها رجلها، لكنه هو يمكنه أن ينتقم اسمحوا لى أن أندهش لو حدث منها العكس يقتلها لأنه الرجل، داخل هذه السراديب المرهقة– والممتعة– يسحبنا طلعت شاهين، فى هدوء، مستخدما درايته الواسعة إزاء الحالة الأنثوية الشاعرة، والتى نعد العدة– فى بلادنا الآن– كى نحكم حصار نصوصها تمهيدا لتحطيم الفؤاد الذى يحميه الضلع الأعوج، حتى لو كان فى أمريكا اللاتينية.

١٩٩٨/٦/١٤

أمين ريان

فى بداية السبعينيات بواكير النشر الخاص بى، التقيت بأمين ريان، الأب العطوف الحنون المتزن الهادئ والذى لا يتأخر عن الهمس بالنصيحة المخلصة الخالصة، كنت قد قرأت له مجموعة قصص (الموقع) والتى ضمت بواكير انتاجه من قصص: الشيخ ياسين، العكاز، ليلة شارع الخليج، ركايب، ثم كانت قصته الجميلة (حافة الليل) لاحظ أن لى قصة (حافة النهار) كتبتها بعد قراءة قصة أمين ريان تحت وقع التأثير المضاد، ولا سيما أن هذا الكاتب ينتمى إلى جيل جاد ينصت جيدا إلى حفيف التيارات الثقافيةالمتباينة، وكانت قدرات أمين ريان عالية البوح والكشف لنا عن مكنون هذه التيارات، ولعله كان يقصد هدفا عندما نبهنى أن أقرأ مزرعة الحيوانات لجورج أورويل ولا تزال النسخة الانجليزية عندى لم أردها له حتى الآن، حيث فاته أننى لا أعرف شيئا فى هذه اللغة، لكن

قراءتى لمزرعة الحيوانات المترجمة فى أوائل السبعينيات هى التى وبالتأكيد وراء بدايات (كلب ال مستجاب) التى بدأت كتابتها، ونشرها فى مجلة الثقافة أوائل الثمانينيات، ثم توقف كلانا- أنا- والمجلة.

ولأمين ريان أعماله المتعددة الراقية والجميلة: العنيف (جزءان) مقامات ريان، زعتر، زحل، قصص من النجيلى، المعابر، صديق العراء، وأعمال أخرى عديدة، وهو أفضل من كثيرين فى عصره استطاعوا الحصول على مواقع ومناصب وشهرة لأسباب لا علاقة لها بالثقافة، فأمين ريان يلجأ إلى الاختصار وعدم الاحتكاك وإثارة الجدل العصبى، لا يميل إلى المجاملة التى قد تصل إلى النفاق، وقلبه ينزف دما أبيض شديد البراءة وبالتأكيد فإنه يستحق أن نحتفى به نقدا وعرضا وتفاعلا مع أعماله، وهذا حقه علينا وليس مجرد مناشدة، حيث لا يزال ينتج ويعطى- أعطاه الله طول العمر، وروايته الأخيرة الكوشة التى لم تصدر بعد، سوف تكون فرصة لنا على المستوى الشامل أى الرسمى وغير الرسمى كى نكون مخلصين وأوفياء لمثل أمين ريان، الأب الذى انقطعت علاقتى به منذ ما يقرب من العشرين عاما بسبب قلبه العطوف الذى هربت منه لإدمانه النصح والتنبيه ، وعندما التقينا أخيرا انحنيت إلى يده كى أقبلها، وما كاد يجلس حتى بدأ ينصحنى من جديد، مع أنى أصبحت جدا منذ أكثر من عامين.. **رعاك الله ياعم أمين**

١٩٩٨/١٢/٢٠

الحزن.. اعتقالاً وحرية

لعله الوحيد الذى ما أكاد أراه، حتى أحس بأنه خارج من المعتقل منذ دقائق: فتحى عبد الفتاح، حيث تتوحد فى ملامحه وأفكاره وابتسامته وطريقة إنصاته أو اعتراضه: ثنائيةالشجن والغربة، يكاد فتحى عبد الفتاح أن يعتصره إلى النهاية هذا الشجن الوطنى المتسامى بين سطوره منذ قرأت- مبكرا- كتاباته عن الاعتقال وضغوط كتم النفس وبالذات فى مرحلة الانطلاق الثورى أو القومى، ثم لا يلبث كتم النفس الثورى السابق يسلم كاتبنا بعد سنوات إلى مرحلة الفلطحة النفسية الناجمة عن انفتاح غير مدروس فى مجتمعات قلقة تعانى من ضغوط وافدة، إنها الثروة الجديدة العارمة والطافحة والتى افترشت النفوس وغيرت الأفكار وحاصرت الاخلاق والتقاليد، فى اتساع مذهل لا يخضع لأى انضباط والتى هزت كل عناصر الثبات الاجتماعى فكرا وسلوكا فى مجتمعاتنا والتجربة

الخاصة بهذا الكاتب ليست فريدة، عانى منها، وكابدها كثيرون، غير أن الحساسية الفائقة والأسلوب المرن السلس والصدق الساخن أو الدافئ جعل من هذا الكتاب ثنائية السجن والغربة- اعترافا راقيا- وخاصا - تضافرت فيه عناصر روائية وتاريخية مما أشاع فى سطوره قدرة استقطاب لا تتوافر عادة فى مثل هذه النوعية من الكتابة المعذبة المفعمة بالتعذيب والقلق، من خلال الارتحال ما بين الاعتقال والمذاهب والايديولوجيات داخل القفص الصدرى للوطن.

وقد قضيت سنوات أكاد لا أغادر أدب المعتقلات والسجون، فى ألمانيا وأسبانيا ومصر وفرنسا كما أنى تنقلت كثيرا بين كتابات صلاح حافظ ولويس عوض ويوسف إدريس وزينب الغزالى ومصطفى أمين وفريدة النقاش، عدد كبير من هؤلاء وغيرهم كتبوا عن تجربة السجن والاعتقال بالواقع أو المبالغة لكن شبح فتحى عبد الفتاح لم يغادر افكارى وجسدى منذ قرأت كتابه المبكر «شيوعيون وناصريون» أرجو أن يكون العنوان دقيقا، إن فكرة الحرية لا يمكن التواصل معها إلا بعد معاناة الظلمة والاختناق والقسر والضغط على الأفئدة والعقول حتى تكاد تنفجر الجماجم، أو تنسحق، وهو ما أحسسته إزاء تجربتى مع الرحلة المؤلمة المعذبة لهذا الكاتب الطيب فتحى عبد الفتاح، المصلوب فى ثنائية السجن والغربة.

١٩٩٨/٨/٣٠

مولد الحمامصى

والحمامصى هو عبد العال، أديبنا الطيب ذو الصوت العالى، والذى يحتج دائما- فى ثورة- أنه من الصعيد أهل الكرم والنخوة والوفاء والعزة، وهو أول أديب يقام له مولد ثم هو أول صاحب مولد يقام له المولد وهو حى، مما يجبرنا أن نفخر به ونعتز بإخميم تلك المدينة التى جازفت بالخروج على قانون الموالد، إذ لا يوجد واحد فى أى عصر من العصور ميت أو حى يقام له المولد السنوى سوى عبد العال الحمامصى، الذين جاءوا من جبال البربر أو أطلس أو من كردفان أو المدينة المنورة أو تونس الخضراء كل أصحاب الموالد الذين نافحوا وكافحوا وحاربوا وجددوا وفسروا فى الدين الحنيف أقيمت لهم احتفالات فردية غير منتظمة، لكن الموالد لم تستقر لهم إلا بعد الرحيل، عبد العال الحمامصى هو الوحيد الذى فاز بهذا التجديد فى نظام الموالد وإخميم هى التى كسرت ذلك القانون

الراسخ ولقنت كل المدن درسا.

وبعيدا عن الرغبة فى المهاترة التى تعترينا إزاء الموالد، فإن عبد العال يستحق كل خير وهو المتفانى دائما فى خدمة زملائه الأدباء وهو الذى حاربناه كثيرا وألقينا على رأسه بالاتهامات وعلى بدنه بالسهام الملوثة وإن كان حجم إنتاجه الأدبى أقل مما أنتجه هؤلاء ذوو الأكداس والأكوام من المؤلفات، فإن ذلك لا يعيبه وبالتأكيد فإن مساحة الفعل الاجتماعى عنده جارت على مساحة الإبداع، لكن ما قدمه لنا له خصوصية تدعونا إلى إعادة قراءته وإلى إدراك المعانى الكامنة تحته، وهو ما يوازى الإحساس الإنسانى الموار داخله، والرغبة التى تداهمه كى يكون الأقرب والأكثر إيجابية نحو زملائه، وغير زملائه أيضا.

ولا أطالب المدن الأخرى أن تقلد إخميم فى اقامتها لمولد عبد العال الحمامصى، حتى لا يفقد هذا الاحتفال الجميل تفرده وتميزه وخصوصيته، عليهم أن يقيموا الموالد المناسبة لأفراد ليسوا من أهلهم ولا من وطنهم ولا علاقة لهم بالإبداع الأدبى، ذلك أقرب إلى المفاهيم التى تتحكم فى دق الطبول ورفع البيارق والشعارات، وإشعال المباخر حول ذوى المقامات، رعاك الله لكل عام يا عبد العال.

١٩٩٨/١٠/١١

رفقى بدوى

الرحلة مرهقة والبلاوى (البلايا) تقف فى احتفال صارخ لتقطع علينا الطريق، وسيظل رفقى بدوى واحدا من تلك الجماعة ذات البصمة الواضحة فى الإبداع الأدبى أوائل السبعينيات والذى عانى وكابد، وارتاع وكتب بشجاعة، وعبر عما يعتقده دون اهتمام بأن يتوافق ذلك مع روح الجماعة أو أنه خارج عليها فى قصصه القصيرة المتميزة، كانت أولى مجموعاتها «هرمونيا الحزن والعبقرية»، ١٩٧٧، حيث طرح الملامح الأساسية لأسلوبه الذى حمل قضية نماذجه المتعددة هذا التيه المغرق فى الغربة والسخرية الناعمة تبطن فن التعبير وتستدرجك أو تصطدم بك، يفيض فيه الشعر أو الإحساس الشعرى حتى تكاد تزعم أنه شاعر عرف الطريق إلى قصيدته الكبرى: القصة القصيرة..

وتوالت مجموعات رفقى بدوى (أنا ونورا وماعت)، وهى رواية

تمزج بين المحدث جدا والقديم جدا، ذلك أن «ماعت» صورها أجدادنا القدماء فى هيئة امرأة رشيقة صغيرة جالسة، وتضع ريشة نعامة فوق رأسها وكانت توضع فى الميزان لتزن قلب الميت ودون الإفاضة فى المعنى الفرعونى لماعت فإنها فى النهاية تعنى المعنى الكلى للعالم بنظاميه الكونى والأخلاقى اللذين يعملان معا فى جميع الظروف لتتعادل العلاقات الاجتماعية والحياة الخلقية وهو ما اكتشف رفقى بدوى اضطرابه وخلخلته، بل وانهياره أو اندثاره بعد ذلك، وفى عام ١٩٨٣ كانت مجموعتاه القصصيتان: «هذا ما حدث أولا» ثم «البحث عن حقيقة ما يقال»، وفى عام ١٩٩١ بعد صمت ثمانى سنوات كانت مجموعة «صباح الحب الجميل» والتى كانت من باكورة الأعمال التى بدأت بها هيئة قصور الثقافة أعمالها فى مشروعها الشهير لتعيد للقارئ المصرى رغبته القديمة فى القراءة ثم كانت آخر مجموعات رفقى بدوى (القابض على الجمر) المفعمة بالعذاب الساخر والساحر، والذى يشوبنا رغم كل سخرية فى الأسلوب، أو فى المعانى المطروحة أو المضمرة حيث يظل لهذا الكاتب الجميل قدرته الفائقة على الكتابة الرقيقة والحداثيةجدا، بالمفهوم العظيم لمعنى الحداثة، دون الوقوع فى مستنقعات استدرجت الكثيرين.

١٩٩٨/٨/٢٣

عبد الغنى داود

يتمتع عبد الغنى داود بتلك الصفات التى تضعه تحت ظلال علامة استفهام ضخمة، فهو من خلال مناقشة السمر، تراه عاشقا منفتحا على عالم سارتر والبير كامى وسيمون دى بوفوار، أى هذا البحر اللجى من الإحساس الذاتى بانخفاض وتهافت العالم الروحى، ثم يلوذ بك إلى القيم الرائعة غير المرئية للنظريات الماديةعند هيجل وماركس وما وتسى تونج، وفى ظهيرة اليوم التالى سوف تلحظه على شاشة التليفزيون فى الصف الأمامى منصتا فى عمق المريدين لتفسيرات وأداء الشيخ الشعراوى، وفى آخر النهار يستقبل بحفاوة شاعرا يكرهه بضراوة ، وفى أول الليل سيكون ضيفه الأثير الذى كان عضوا ثرثارا وسخيفا من حزب معارض بمجلس الشعب، وقد أحاقت بعبد الغنى داود خسائر مادية ونفسية لا يطيقها بشر، وقد يقودك لكى تكون ضيفا على تاجر دواجن من نجوم الصف الأول فى بداية عصر الانفتاح أيضا لا يطيقه بشر، ثم إن عبد الغنى داود يصرح بآرائه فى هؤلاء الذين لا

يطيقهم عندما تتاح له فرصة التشكى والاعتراف مع الإحساس المؤلم لما يحدث له، فهو مجامل أكثر مما ينبغى وباله طويل أكثر مما تستحق الأمور، وكلنا الذين عايشناه استفدنا منه كما استفدنا من قبل من ضياء الشرقاوى، عبد الغنى داود مولع بالمسرح ومدرك لتاريخه وفلسفة ظهوره منذ كان طقسا دينيا حتى أصبح أخيرا ملهى دنيويا، ومستوعبا للتيارات الفنية والأدبية فى كافة عصورها ومختلف شعوبها الروس والإنجليز والطليان والفرنسيين والألمان والأسبان والأمريكان، وما قد يتناثر حولهم من ناظم حكمت إلى ابسن إلى المستحدث فى امريكا الجنوبية، ولا تنس أدباء افريقيا وآسيا، وهو فاهم جيدا للمذاهب السياسية والفلسفية، وله إدراك واضح بحركة التاريخ، لكنه مجامل أكثر مما يجب ، صبور لدرجة أنه يتحمل مصادقة من لا يصادقهم سواه، الفاشلين فى الحياة بالذات- حتى ولو كانوا لا يزيدون على ثلاثة، وهذا كله عطله عن الانتشار الذى يستحقه، لقد كتب للمسرح، لكنه لم يحسن تسويق أو تصدير مسرحياته (الجثة الخليفة الجازية - عزيزة ويونس) وغيرها وله كتاب مهم جدا صدر أخيرا (الأداء السياسى فى مسرح الستينيات)، كشف داخله عن وسائل النفاق وعبادة ظل السلطة والارتماء الفنى تحت سنابكها، إنه يكتب بصدق وحرية ووضوح، وبشكل قدلا يرضى، كثيرين من كتاب المسرح ولا يرضى- أيضا هؤلاء الذين تعودوا أن يروا عبد الغنى داود مبتسما ومجاملا وهو يكاد ينفجر، أنقذك الله ياصديقى.

١٩٩٧/٨/١٠

عن سعيد الكفراوى

بعد سنوات من عودته الظافرة الدسمة من الخارج، أى بعد فترات الشد، والمداهمة، والجذب، والاندفاع، والتصارع، والكرم المبالغ فيه هدأت أنفاس سعيد الكفراوى ليصبح أديبا خالصا مثلى ومثلك يمكنه أن يتقدم للحصول على منحة التفرغ فلا يحصل عليها، رغم حاجته القوية إلى مكافأة التفرغ مع أنه سبق أن حصل على منحه التفرغ من خلال تلك السنوات، المشار إليها- والتى تنفى أية حاجة أو مبرر لأن يتقدم أيامها لها- وبالتالى: يصبح مناسبا دون أن ترمقنا عيون المصالح غير الأدبية القديمة، أن نعلن أن سعيد الكفراوى واحد من أهم مبدعى المرحلة القائمة والشائكة، التى يواجه فيها النص الأدبى قصة وشعرا- زحفا مروعا وحصارا فاتكا من جيوش تيمورلنك المعادى للقيمة العليا والأصلية لمعنى الأدب، جيوش من نثار مفكك وغبار يعمى البصر، واضطراب يداهم بصيرة الإبداع

القومى، حتى أن الإعلان عن الجهل بالموروث أصبح ثورة، وعدم التمكن من النحو والصرف أصبح تجديدا، وانتفاء الحس المصرى الراقى والعميق أصبح فخرا، وبالتالى فإن من حق سعيد الكفراوى أن يكون حصنا أساسيا من قلاع المقاومة فمنذ صدور مجموعته الجميلة مدينة الموت الجميل ومرورا بمجرى العيون – سدرة المنتهى – ستر العورة بيت للعابرين، إلى مجموعتيه الأخيرتين: دوائر من حنين – كشك الموسيقى، وهذا المبدع يذوب حسا إنسانيا مبالغا– وعميقا– فى ثنايا أسلوبه المتناغم مع أفكاره المصرية، إنه عنصر مؤثر فى الحلقة التالية بعد مرحلة يوسف إدريس وأبو المعاطى أبو النجا وسليمان فياض وعلاء الديب وغيرهم، حيث يظل أبطاله يسعون للتحقق داخل الكيان الملموس الذى لم تداهمه فلسفة الشظايا المتناثرة بعد، فى قدرة فائقة وخاصة فى السرد والإخفاء ذى المخالب الناعمة حتى أننى أحس بمؤاخاة بالغة الدفء لما يدور فى نصوصه تحت سطوة قدراته الخاصة فى التعبير، وهو مالا يتوافر لكثيرين– غيره– هذه الأيام المرهقة، مما يجبر هذا النوع من المبدعين على أن يتحدوا حتى لو كانوا قليلين أو نادرين.

١٩٩٨/٦/٧

الادعاء الغبى

بعد واحد وعشرين شهرا، وعشرات من الهمسات المعطرة المسمومة، وكمية لا بأس بها من الأوحال الجميلة، وخمسة أجولة من حطب الحقد والحمق والمتعة والغباء والتلذذ، ومزرعة من الشكوك والدود والهواجس والجهل، وبعد أن فرشنا جسد الموهبة تحت سنابك الفشل، تم شطب القضية المرفوعة من المدعى عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل المقيم بإقليم المنصورة ضد المدعى عليه الأديب/ سعيد الكفراوى، صاحب قصص سدرة المنتهى ومدينة الموت الجميل، وذلك لنكوص صاحب الدعوى وعدم قدرته على الدخول أمام القاضى، ليقول ويردد دعواه التى اقتاتت عليها غربان الموتورين واغتذت بجيفتها ديدان الثعالب، وملخص هذه الدعوى أن المدعى عليه قام بنقل وسرقةونشر قصة شمس النهار من مؤلفها الأصلى المدعى وصاحب القضية، ومع أن اللصوصية أمر ممكن ووارد

ومحتمل إلا أن اللصوصية الخالية من الذكاء تصبح عبطا وبلاهة لا يصح لأدباء العاصمة- الذين حققوا الشهرةوالمجد التليد- أن يستخدموها مع غيرهم ممن يعانون من الفكاك والتحرر من أسر نصوص أدباء العاصمة أنفسهم وباب السرقة واسع، من أفكار مكومة على أرصفة النتاج الأدبى العالمى، ومن تلال الأساطير والخرافات، ومن جبال حكايات الأديان، فما بالك والسارق مكتنز متضخم تتقافز كراته فى ملاعب الأدب والاتهام قاس ومؤلم لكنه يغوى هواة الثرثرة دون إمعان وتمحيص ويستقطب ذوى العيون المفتوحة دون اهتمام باختلال المسافة بين السارق والمسروق منه، وفكرةقصة شمس النهار عن ذلك الديك الذى اعتقد أن النهار لن يطلع إلا بإذن منه- أى أن صياحه الموهوم هو الذى يهيمن على الزمن، فكرة واردة من الموروث والمقروء والمحكى، غير أن المدعى فى نشاط وحميةكان يبكى بين أيدى التجمعات مصمما أن المدعى عليه قد استولى على القصةحرفا حرفا وأنه أخذها من فريدة النقاش رئيسة تحرير أدب ونقد، حيث كان قد أودعها لديها للنشر وهكذا طاشت الطعنات وانتشرت حول سعيد الكفراوى، حتى أنا- والمفروض أننى صديقه- لعب الفار فى عبى وتأثرت بالدوامة العاتية رغم صمودى الذى دائما أزهو به، لكننى ظللت أنظر بنصف عين إلى فلسفة السرقة وأسس قيامها وكان شطب القضية من المحكمة هو حبل نجاتى قبل خلاص المتهم نفسه، ذلك لأن النص الأدبى الناجح يكون معظم مردوده وناتجه عائدا لصاحبه أما النص المسروق فيكون ما يثمره من اتهام وشك وخراب ضمير على الجماعة كلها، حتى أنه

يفسد الصدقات والمصداقية والجلسات والعلاقات، جهنم تنفتح بفعل شرير، لا تصيب الكاتب المتهم نفسه، بل تصل إلى أسرته وعياله وعلاقاته كذلك، ولا أعرف كيف يمكن معالجة مثل هذا الأمر بعد أن وصل للنتيجة المأمولة، والثأر لا يطفئ النار دائما، غير أنى أرى فى وقفة المدعى على باب قاعة المحكمة خير عقاب، حيث ظل وحيدا مسكينا مكسور النظرة غير قادر على الدخول والمثول بين يدى الهيئة القضائية المنعقدة كى تشطب دعواه المؤسفة، ولقد راعنى أن أى قضاء فى العالم لن يستطيع تقدير عذاب الكفراوى من خلال الأحقاب الماضية كلها، وعذاب المدعى وهو واقف بباب القضاء دون دخول.

١٩٩٣/١٠/٢٤

عبدالله سرور

الدكتور عبد الله سرور لا يستطيع أن يقنعك بأنه محايد، أى أن الحياد سيظل بمنأى عن أمثاله الذين يقعون تحت سطوة العقل النشط المشع، الذى قد يضطرب إزاءه الذين لا يستوعبون- أو لا يدركون- أواره اللافح، هو من القلائل، النادرين الذين يظلون فى حالةاشتباك دائم مع الآخرين وأفكار الآخرين، حتى لو صمم عبد الله سرور أنه محايد، وأنه باحث أكاديمى وأنه هادئ السريرة، مع أن اشتباكه الدائم متعة كبرى، وعذاب كبير إن امتيازه الخاص الذى يجعله يطارد عبد الناصر فى القصيدة العربية الحديثة فى كافة أنماطها وأنواعها فى الوطن العربى بطلا، ومارداً، وعملاقا ثم ظالما ومستبدا وخانقا وقاتلا، ودكتاتورا جديرا بالهزيمة والاندحار والموت الأسطورى، عبد الله سرور يحرث فيما يبدو أرض القصيدة الناصرية، لكنه فى نفس الوقت يحرث النفوس التى ظلت (كما تهوى

فحركهم دمى لا يفتحون بغير ما ترضى فما) كما جاء فى قصيدة هاشم الرفاعى الذى كان طالبا بكليةدار العلوم، وكتب اوائل الخمسينيات أى قبل هزيمة يونيو بسنوات طويلة عددا من القصائد الحادة ضد عبد الناصر ورجاله ونظامه لم ينشر معظمها ، ثم قتل بطعنة خنجر وهو يلعب الكرة، ثم هناك قصيدة صلاح عبد الصبور: هل عاد ذو الوجه الكئيب، التى نشرها فى ديوانه الناس فى بلادى على أساس أنها ضد الاستعمار وأعوانه، لكنه قال سرا لأصدقائه أنها ضد جمال عبد الناصر، كل شعراء العالم العربى كانوا أطرافا مع عبد الناصر.

وكتب عبد الله سرور (شخصية عبد الناصر فى الشعر الحديث) مفعم بمالا تستطيع أن تستقبله دون أن تتشابك مع كاتبه، هذا الذى سوف تحبه مندهشا وراغبا أن تقطع الطريق عليه فى مناجزة عالية الصوت أملا أن نسعد بمثل هذه الكتابة الحارة والثرية والمشعة، والتى لن تتركك فى حالك أبدا.

جهنم

هربت من بيتى فى العمرانية بالجيزة معتقدا بأننى أستطيع أن ألوذ بموقع غائر فى الصعيد دون ضجيج أو تلوث، نعم الجو حار لكننى صعيدى من بطن صعيدى قادر على ترويض حرارةالجنوب لصالحى، أول يوم بعد شاى المساء مع الأصدقاء، أى بعد ضجيج كلمات الذكريات التى تصمم على أن الأمس خير من اليوم، وأيام عمرو بن العاص أفضل من أيام جمال عبد الناصر، ثم لابد من المرور على صلاح الدين الأيوبى وسعاد حسنى والسد العالى وساويرس وإحسان عبد القدوس وثريا سالم ومحمد عفيفى ومنشورات بيوت الثقافة والضوء الشارد والحاجة فيات «أشهر غوازى ديروط الشريف» ومحمد التابعى والتنظيم الطليعى، أى بعد كل ذلك بدأت أواجه اختناقا ضاغطا فسر لى كثيرا من أسباب الانقلابات العسكريةغير المدروسة فى البلاد الحارة، كنت هائجا

أطارد الخمول المعروق (أى الذى يسح بالعرق) بالحركةالمفتعلة أصطحب معى قصص وروايات فوزى شلبى ومنتصر القفاش ورجب سعد السيد، كان الليل قد انهار مضغوطا أسفل أقدام الصباح وجاءت الأشعة الأولى تسخر بى فى دوائر من الذباب والبعوض، بطيطات «تصغير بطة» صغيرات تتهادى على الوجه الساكن لمياه الإبراهيميةكيف إذن عشت القرون الأولى من حياتى دون مراوح أو تكييف أو حتى نسمةهواء صيفيةتذكرت ماجدةالرومى والرواية التى أكتبها الآن ظلت أوراقا فى ركن الدولاب ليس صحيحا أن الظلم هو العدو الأول للثقافة إنه الحرارة الخانقة بعدها سفسطة بعض أصدقاء الريف المشغولين بإثبات أنهم على المستوى اللائق للثقافة (تفاجأ دائما بمن يداهمك بسؤال أولى إيه رأيك فى محمد حسنين هيكل وقبل أن استعد للإجابة الرائعة التى تتواءم مع هذه الثقافة المبهرة: إيه يكون السؤال التالى: لماذا لم تكتب ضد التطبيع مع اسرائيل ويفور الدم فى دماغى كى لا أسقط صريع السؤال الثالث: (لماذا لا تكتب عن أدباء الأقاليم) اغلاق القوسين – هنا – ضرورة حتمية إنها استعراضات عضلية من أناس يمتطون الجياد وبلا فروسية أو بلا إدراك لمعنى عالم الجياد المختلف بالتأكيد عن عالم حيوانات أخرى تصلح أيضا للركوب وبينى وبين المروحة المخلصة أقدام قليلة لكن الهواء يظل ساخنا خانقا يذكرنى بالهواء المخزون فى المعامل القديمة لتفريخ الكتاكيت، وفى اليوم الثالث أو الرابع جاءت زوجتى من القاهرة فاعتقدت أنها سوف تفكك عقد حبال الحرارة الملتفةحول رقبتى، الشارع. وأنا أطل على الخلاء الممتد –

يحرك فى الأفق الصهد ليعبث فى مصاريع النوافذ، الثقافة ملاذنا الوحيد، لكن المخ ظل ملقى أمام المروحةوفى اليوم السابع أوالثامن – أى بعد مليون عام – اتضح لى أن ثمةغباء عارماً يبرز واضحا من شروخ العقل المستنيم سنوات فى العاصمة وأن غباء عارما أيضا يهتاج متوازيا من الحقول والأنهار وجذوع الأشجار حينما تعتقد أن العالم كله – انظر – أصبح مملوكا لك، عليك الآن يا صديقى أن تبتعد قليلا عن الكتب وأن تقرأ يوميات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم، وأن تتثاءب مستلما أمام التليفزيون وأن تنام متأخرا ولا تستيقظ أبدا، وهذا ما فعلته أنا فى خلال الأسابيع الماضية.

١٩٩٩/٧/٢٥

تجريد الوطن..

مؤلم ومقلق- أيضًا- ما يقوم به بعضنا من تجاوز حدود المجاملة إلى مجالات أخرى تجرح هذا الوطن - المصرى - كبرياء وثقافة ووجودا وشرفا- وواقعا أيضا كل واحد يذهب- أو يرحل- نحو بلد- عربى أو غير عربى.

يكتشف أن هذا القطر هو أصل كل أنواع الثقافة وكل أنواع الأدب وكل أنواع الفنون وكل أنواع الأخلاق بما فيها الكرم على وجه الخصوص حتى الأقطار التى تعتبر التراث الشعبى بما فيه الشعر والطقوس درجة أدنى فى الاهتمام لأسباب عقائدية أو سياسية سوف تجد من يضخم دور الحكومة فى إحيائها مع أن الحكومات عادةلا تدرك الأبعاد الحقيقة لفنون وعادات عموم الناس، لكن الأكثر ألما وقلقا أن تنقل أصول الإنجازات الثقافية التى كثيرا ما تكون مستبعدة (بشكل جازم عنهم) ليصبح اسهامهم فيها هو المحرك

الأساسى لتطورها كهذا الذى يصمم على أن جلسات ليل السمر أمام الخيام وما قد يحدث فيها من لهو ومرح ومشاكسات فى الغناء والسلوك- هى أساس لفن المسرح العالمى والأوبرا العالمية، مع أن أقطاراً كثيرة وهذه بالذات مارست اللهو والمرح والمشاكسات الليلية مع نفى أو تحريم فن المسرح حتى أنها لم تشهد مسرحا إلا خارج حدودها وليس هناك ما يدعو إلى هذا النوع من التزوير والتدليس فى أمور لا يطالبون هم أصلا بإسنادها لتاريخهم ، كما أن ورود أولياء الله الصالحين من المغرب والأندلس لمصر حيث مقاماتهم المقدسة حياة أو موتاً لم تكن بقصد إصلاح النفوس عندنا أو محاولة منهم لرفع شأننا وهى أقوال تخضع لأيديولوجيات التبشير المسيحى الغربى، دون أن تخضع لها حركة أئمة المسلمين شرقًا وغربًا، إذ إن عددا من أولياء الله الصالحين من غير المصريين سكنوا مصر وأقاموا فيها من خلال رحالاتهم إلى المناطق الإسلامية المقدسة لأداء فرائض الحج أو الزيارة، كما أن عدداً منهم جاء من الغرب الإسلامى إثر استقرار الفاطميين فى مصر، ولم يكن مطروحًا بالمرة أنهم جاءوا ليصلحوا حال المصريين/ لماذا لا نفكر فى أنهم جاءوا إلى جوانح القطر المصرى الذى يشعرون فيه بالإخلاص والامان، والسكون إلى الأريحية المصريةالتى نادرا ما تجدها فى بلد آخر يمثل هذه البساطة- والتلقائية الفنية أو الفقيرة فى وقت واحد.

مجالات مجاملة الآخرين متعددة، ولكن يجب ألا تتجاوز الحدود ونتمتم فى انحناء يبرر لنا أستاذية الإدراك لتصبح السينما والرقص الشعبى والمسرح والصحافة والرواية وفن الانشاء والقصة القصيرة

والبحث العلمى وفلسفه المواويل وهندسة المساجد والأديرة والكنائس وصناعة الملابس والأزياء والتعليم والقناطر والكبارى والمعابد والمقابر والأهرام بالذات كلها وجدت بذورها الأولى وأحيانا تطورها الكامل خارج بلادنا أو بعقول غير مصرية.

إن ذلك مؤلم ومقلق أيضا مع أنى لا أطالب بأن نستولى نحن المصريين على كل ذلك بمفردنا.

١٩٩٩/٩/١٢

فارس بلا عصا

علينا ألا نسخر ولا نحاول التهوين، أو المرح لنأخذ فى جدية كاملة كل ما قاله الروائى الكبير نجيب محفوظ حول حروبنا – كلها – فى مواجهة العدو – الدائم – الإسرائيلى من أنها كانت خطأ، وكلاما فارغا وما إلى ذلك من آراء ترتبط مباشرة بواحد من أعمدة الفخر الثقافى القومى أو العربى فى العصر الحديث، إنها الحرية التى اشتاق نجيب محفوظ إليها طويلا أكثر من ثمانين عاما ويود أن يعلن آراءه أو أقواله من خلال استمتاعه بها، مع أنه قال كل ما يريد من خلال رواياته، ودخل إلى التابو الناصرى الذى نشر له مالم يستطع أن يتجاوزه بعد ذلك دون أن يلحقه أى أذى من أى نوع..

غير أن ما يجب أن يوضع فى الاعتبار أيضا أننا نخلط بين أمور كثيرة، ثم نندهش إزاء النائج، فمثلا لاعب التحطيب هل تذكرونه الذى يدهشنا بحركات الفروسية هجوما ومناورة ومباغة والذى يلقى

بالعصا – خلال المعركة– فى الهواء ثم يتلقاها فى مرونة مثيرة للعجب، هذا اللاعب المدهش قد لا يستطيع التوكؤ على هذه العصا، أى أن ما يصلح للفروسية لا يصلح بالضرورة فى أنشطة أخرى وأشهر مناضلى ثورة ١٩١٩ الذى هاجم القائد الإنجليزى بوب وقتله، جيد عبد النور، كان – بعد أن كبر – يرتعب من الكلاب القروية البلهاء، وعبد الله النجومى باشا الياور الخاص للملك فاروق ومرافقه فى رحلات صيد الغزلان والضباع والذئاب والشواهين (نوع من النسور) والصقور، هو الذى كبر واسترخى فى قصره بالمطرية ثم بدأ يصرخ مستغيثا حينما يفاجأ بسحلية فى الحديقة وبالتالى فإن الكاتب المتمكن صاحب نوبل الوالد نجيب محفوظ المبدع فى صناعة الرواية والذى احتاز حبا كبيرا وشهرة واسعة يرجع جزء منها لكراهية شرائح عديدة ليوسف إدريس، هو نفسه محفوظ الذى يقوم الآن فى هدوء ذوى التجارب العتيقة، بإعلان أقوال تجرح مشاعر الشعب المصرى، وتتوافق مع الحملة القائمة منذ أبد الآبدين لتنال من كيان هذا الشعب، لانكتشف مدى السخف الذى عشناه فى صدامنا التاريخى مع القوى المعادية ولا تزال معادية حتى أن حرب الاستنزاف– بالحرف– كلام فارغ، ولا أعرف إن كان هذا الرأى كلام فارغ ينصب أيضا على مذابح دير ياسين وصبرا وشاتيلا، أم أن ذلك فيما يخص المصريين اختصاصا مباشرا.

إن نجيب محفوظ الذى قال كل ما يريد فى رواياته لم يكن فى حاجة إلى أن يقع أسير الركون إلى دورة الاعترافات أو الذكريات أو المذكرات، والتى أحاقت بنا جميعا جراحا مهينة سوف تؤثر بالقطع

فى صورة نجيب محفوظ وجائزة نوبل، ومعنى كلامه داخل أعصابنا، وفى كياننا، ولا سيما أنها تلتقى مع خيوط أخرى غامضة أو واضحةتحاول تدمير كيان الشعب المصرى –المصرى بالذات وهو ما يؤدى بنا إلى أن نأخذ ما قاله مأخذ المرح والقفشات الممتعة التى يميل جو الحرافيش إلى الاستمتاع بها، لنتخلى عما طلبناه أول العمود من ألا نسخر ولا نحاول التهوين.

نجيب محفوظ أهان هذا الشعب إهانة مروعة، وهو ما لا دخل فيه للآراء الحرة فى العصر الديمقراطى بالمرة.

١٩٩٨/٧/١٢

فن الاعتراف

فى فرع من فروع الإبداع يقف فن الاعتراف قويا ضاغطا، ذلك أن ما يحدث لأحدنا لا يجب أن يفلت من تفاعلات الخلق الأدبى، ويحظى فن الاعتراف بموقعه المتميز فى الثقافة الغربية لكنه فى الجو الشرقى يصاغ بما يجب أن يتناسب مع الأخلاقيات الوضعية والدينيةإذ لا يصح مثلاً أن نعترف من وجهة النظر السلوكية بولوجنا للبيوت السرية أو منازل البغاء وهذا ظلم لحياةالمبدع، من حقى أن أسرد بأية كيفية إبداعا أو ذكريات أو مذكرات ما يضع حياتى مفتوحة بين يدى القراء، مفتوحةدون أن تكون مفضوحة فالفنان المبدع لا يكون فى مقام المساءلة أو الاتهام حين يعترف بذلك إنها حرية الإقرار بما فى حياته دون أن يتعرض للوم أو التأنيب أو التسفيه أو الاحتقار وهذا ما رفع من شأن هذا النوع من الكتابة – فنية كانت أو خالية من الفن– عند جان جاك روسو وجان بول

سارتر، وسيمون دى بوفوار وكثيرين من كتاب- وكاتبات الغرب، والكتاب الذى ترجمه خليل صابات عن ذكريات سارتر من زمن، ثم اللقاء الصحفى- الاعترافى- الذى ترجمه أحمد عمر شاهين حاليا عن هذا الفيلسوف الفرنسى لم يؤثرا بالمرة فى نظرتنا إلى سارتر بل زاداها عمقا وإدراكا وفهما.

ولعله من المناسب أن نضيف جملة أخلاقية لها أهميتها فى مجال الكتابة التى من ذات هذا النوع وهى أن الاعتراف المفتوح لا يمكن النظر إليه بأنه المفضوح، لكننا فى نفس الوقت لا نعتبره سلوكا أخلاقيا يمكن أن يسلكه الآخرون، بمعنى أن الاعتراف حتى فى الطقس الدينى المسيحى يحمل معنى التطهر، وبالتالى فليس من المطروح أن يعتبر ما وراءه منهجا سلوكيا، إنما هو اعتراف يخص صاحبه، أى يخص الفنان الذى يحرث به أرض الواقع ليكشف عما فى الجوف من تجارب وتفاعلات كانت وراء إبداعه الفنى دون أى محاولة من الآخرين للنظر للأمر بغير عين الاعتبار..

إن الاعتراف- أو المذكرات، أو الذكريات- لا تزال فنا شرقيا يحبو، وتعتوره المفاهيم التى ضايقت بشكل عام الفن الشرقى طويلا، تجاوزها فترة ثم بدأت الحلقات تدور تحت الضغوط القديمة، لاحظ أيضا أن حرية الاعتراف الفنى والسلوكى أمر يختلف عما قد يرد على لسانى من آراء تمس كفاح هذه الأمة الطيبة وخصوصا بعد أن أكون قد تجاوزت الثمانين من عمرى.. رعاكم الله.

١٩٩٨/٧/١٩

النص الأدبى تليفزيونيا

النجاح الذى أثاره المسلسل التليفزيونى (الوتد) لصديقنا الكبير خيرى شلبى، أثار فى ذات الوقت قضية قديمة- وخالدة - وطاغية هى الخاصة بقلة- أو ندرة- الأعمال الإبداعية الدرامية فى هذا الكم الهائل من مسلسلات التليفزيون، ففى خلال أكثر من ثلاثين عاما مضت كان نصيب نجوم الإبداع الروائى لا يزيد على عملين أو ثلاثة مع المبالغة: يوسف إدريس ويوسف القعيد وبهاء طاهر وجمال الغيطانى وأبو المعاطى أبو النجا وسليمان فياض ومحمود تيمور وفتحى غانم ويحيى حقى ومحمد صدقى وسعيد الكفراوى وعبد الحليم عبد الله وسعد مكاوى، حتى ذوى السطوة من الجماعة المبكرة التى وجدت اعمالها تتحقق فى السينما منذ بداياتها، ومرورا بعصرها الذهبى فى الستينيات لا أثر لها ذا شأن فى التليفزيون: إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وعبد الحميد جودة السحار وسعد وهبة.

ولذا فإن ظهور عمل أدبى فى مسلسل تليفزيونى لخيرى شلبى، هو استثناء لا يمكن القياس عليه، يتساوى مع (الغريب) لجمال الغيطانى، ومع (أنا لا أعيش فى جلباب أبى أنا) لاحسان عبد القدوس يتساوى مع أية أعمال تخترق حصار غابات الأعمال السهلة والمنشأة اصلا وبشكل مباشر للتليفزيون سواء أكانت مجرد سهرة أو حلقات، إذ إن الروح المهيمنة على التشغيل الدرامى بما فيه من عمليات متعددة فى التمثيل والإخراج والإنتاج، لا تميل إلى التصنيع التليفزيونى للنص الأدبى، والذى يقدم نماذج وحالات ووقائع وظلال، تحتاج إلى غوص أكبر خلف النص وشخوصه ومبرر تكوين المشاهد، والموسيقى، والحوار، وهو مالا تطرحه النصوص المعدة والمجهزة بناء على أفكار تليفزيونية بحتة وخالصة ، قد لا تبارح أحداثه ثلاث أو أربع شقق يمكن أن يحتويها موقع تصوير واحد، وقد تحتاج إلى مشهدين فى سيارة أجرة، أو جولتين فى حديقة الحيوان أو ميدان التحرير، حيث يعود الفنيون جميعهم إلى منازلهم وإلى عيالهم آخر المشهد، أو آخر النهار، دون الولوج فى هذه التضاريس واللهجات وطريقة حلاقة شعر الممثلين، كى تتناسب فى دقة مرهقة مع عمل ناجم عن نص أدبى.

ولذا فإنه من المحرج- لتاريخنا الدرامى- أن تظل أعمال لها قيمة عالية تفخر بها جهود التليفزيون- خارج اهتمام التليفزيون: «فساد الأمكنة» لصبرى موسى، «السائرون نياما» لسعد مكاوى، «أصوات» لسليمان فياض، «الشمندورة» لمحمد خليل قاسم، وأعمال اخرى عديدة سيظل التليفزيون يفخر بها كما حدث- تماما للوتد: أى لخيرى شلبى.

١٩٩٨/٨/١٦

وحيد وأسامة

يقترف السيدان: أسامة أنور عكاشة ووحيد حامد، أكبر جريمة فى تاريخ فنون مسلسلات العصر، إذ انهما- بقصد وبترصد وبتوفير نوايا مبكرة يقومان بإعداد مسلسلات تليفزيونية مرهقة ومرعبة وقادرة على النفاذ إلى العقل والتفاعل مع النفس وبذلك يفسدان- فى وضوح- عقول وألباب جماهيرنا الطيبة الراكنة من زمن طويل داخل كهوف التعاسة الجميلة والسذاجة المورقة، ويتلفان- عن عمد- النول الأثير الذى أدمن زملاؤهما من كتاب المسلسلات نسج أعمالهم عليه، بما فيها من زغزغة أحلام اليقظة ومغازلة الأمنيات الهابطة وافتعال قضايا لا تؤثر حتى فى الجلد الخارجى للمشاهد، لدرجة أن بعضنا- وأنا منهم- ظل سنوات يشعر بالحرج عندما يجد نفسه ملزما بمشاركة الأسرة مشاهدة تلك المسلسلات، لكن هذين المؤلفين المنحرفين عن الفلك الدائر يقدمان لنا ما يجهدنا

ويرهقنا ويعرضنا للزلزلة والانتباه، وضرورة تشغيل العقل وتحريك المدارك واستخدام الحواس فى تذوق الجمال، مع ربط القائم بالكائن والمتخيل بالواقع، بل وفى مرات عديدة يتجرأ أولادنا علينا ليوقظونا من نوم آخر النهار لنشاهد مسلسلاتهما، ثم يتجرأون أكثر فيناقشوننا فى معطيات هذين المؤلفين وهى مؤامرة واضحة على الأجهزة التى تعمل خارجنا كالتليفزيونات، والتى تعمل داخلنا كالجوانح والعقول، ونحرم بذلك- من لذة التثاؤب، ونعمة الصمت، ومتعة الغباء.

وأناشد اتحاد الكتاب والرقابة وذوى السطوة أن يسعوا جاهدين لحمايتنا من أسامة ووحيد، وأسامة بالذات نظرا لأن أظافره الطويلة مستترة داخل قفاز من الحرير الجميل، ومخالبه مدسوسة فى مشاهد ناعمة- وعاصفة- من الحوار الموحى الممتع، لا لأنهما أفسدا علينا عموم مسلسلاتنا المصرية فقط، بل وكذلك المسلسلات الغربية الوافدة، التى نسلم لها أنفسنا دون إدراك لما فيها من خواء وهبوط واستثارة للغرائز ومجافاة للسائد من الأعراف والأخلاق، يستثنى منها مسلسل شتراوس المعروض فى الساعة الخامسة مساء بالقناة الثانية. فإذا لم تستطيعوا حمايتنا من مثل أسامة أنور عكاشة ووحيد حامد، فلابد لكم أن تسارعوا بمعالجة ماسيتركانه من فراغ فى الجهازين: جهازكم واسع البث، وجهازنا الذى سوف يرفض الاستقبال بعد ذلك.

١٩٩٤/٤/٣

صبحى.. وكارمن

ظللت سنوات أتجنب دخول قاعات الأفراح والمسارح بما فيها من ضجيج وقلق وعنف فى الصوت والألفاظ وفقدان الإحساس بهدوء الخاطر- مع أهمية اضطراب النظر والشم وباقى الحواس الإنسانية دونما هدف سوى الاعتقاد الزاعق بأن كل هذا يدعو للمتعة.. والمسرات، وهو الأمر الذى يبتعد تماما حينما تقترب من مسرح محمد صبحى هذا الفنان الذائب فى عالم فنى خاص جدا، تحس به حينما كان يذيب «هاملت» الأمير الضائع بعد ضياع الأب بين العم والأم فسحبك معه إلى إيقاعات حفر المقبرة فى أقسى حالات التعاسة الساخرة والمضحكة، وفى «أوديب» حينما خرج عليه «تريزياس» ليفسر له سبب الأوبئة التى حاقت بمملكته عقابا للجميع على تلك الحياة الكارثة القائمة على النبوءة المبكرة بقتل الأب مع الزواج من الأم، وبينما تخترق الأصابع العيون لتفقأها تحس بأن مقعدك يكاد يسبح بك فى مرارة الأقدار الغامضة الواضحة المرحة،

كان محمد صبحى يفعل ذلك مبكرا وهو يرى قواعد المسرح تنهار بين أقدام الرقص المفتعل والضجيج المسرور والانهيار الملون، والتعليقات السخيفة المثيرة لغيظ الأذكياء. ولذا فقد كانت سعادتى- المصرية فى أوجها حينما رأيت مسرحنا يستعيد كثيرا مما فقده من عناصر تحققت فى هذه الآفاق الممتدة لتصنع «كارمن»، كان محمد صبحى- فى النص الذى صاغه يسرى خميس- يتألق بين العبارات الضخمة التى تمس واقعنا وتحاصر معانيه المستهلكة عن الحرية والديمقراطية، والنقائض التى نسعى دائما كى نختنق بين أقواسها، الموسيقى المقتطعة من صاحب الأوبرا الأصلى جورج بيزيه- والتى تحتل الصدارة فى مدارج الأوبرا العالمية- والديكور المعبر عن كل ما يجرى شموخا، والمخرج الذى تنتابه حالة- وشخصية - الضابط المتورم العاشق بين الواقع البرى والإحساس الذاتى المختنق، والأصوات الكورالية التى تناغمت تعليقا على ما يجرى أو تعبيراعما جرى والتى صاغها محمد بغدادى، وبين كل ذلك تتساقط الضحكات- أو الابتسامات- لتشعرنا بسعادة افتقدناها من زمن طويل، وهو ما دفعنى كى أعود إلى الأمل الذى يسعى محمد صبحى حتى يصل به إلى أحسن حالات تحققه: المسرح المصرى المعاصر وهو ما يجعلنا سعداء به، وبكل رفاقه فى كارمن، فنعود من جديد إلى قاعة مسرحنا شديد الحيوية.. والمتعة أيضا.

١٩٩٩/٨/١٥

عن حسن الإمام

تسلق المخرج حسن الإمام جدران كتاب محمد عبد الفتاح، واندفع كى يقطع الطريق، ليعيدنى صبيا إلى قريتى، حيث كانت سينما قرشى الفخمة قد أصبحت منطقة جذب شديد منذ أسبوعين،وكان فيلم «اليتيمتان» هو أول فيلم شاهدته فى حياتى ولا يزال صوت فاخر فاخر- بائع الجرائد الأعرج يرن داخل دماغى وهو يرعى فاتن حمامة وثريا حلمى اليتيمتين ويحميهما من الذئاب والثعالب ونجمة إبراهيم، كان حسن الإمام هو المخرج الوحيد فى السينما العربية الذى ينجح فى أن يبكى الجميع وأن يزلزل وجداننا كبارا وصغارا ويحيلنا إلى أيتام أو متشردين أو أى نوع آخر من الغلابة المظاليم، وهكذا اندفعت منفعلا ومتفاعلا كى أصرخ أو ألعن أو أسرق كيزان الذرة أو لوزات القطن لأحصل على عشرين مليما -

أسابيع متقطعة ومتوالية فأشهد «ظلمونى الناس» «حكم القوى» «أنا بنت ناس» «أنا بنت مين» «أسرار الناس» «غضب الوالدين» «زمن العجائب» «كأس العذاب» وأنواعا عديدة من درجات القسوة والعذاب مع أهمية احتمال الأمل القادم للخلاص وفرجة النور التى نطل منها آخر الأمر على الحساب العسير لكل من أحاق ظلما، والجنة الوارفة لكل من لحقه ظلم.

وهذا المخرج شارك فى تكوين مزاج الكثيرين، أى أنه كان أكثر مخرجى السينما العربية تأثيراً فى النفوس حتى بعد أن نمونا وأصبح لدينا الوعى الذى ساعدنا على السخرية بهذا الحزن الجارف والمبكر ظللنا مشدودين إلى عالم حسن الإمام الذى ولد فى المنصورة حارة الصيادين فى بداية اندلاع ثورة ١٩١٩، وعاش فى دروب الفن واستوديوهاته وديكوراته وأخرج عددا مذهلا من الأفلام حتى رحيله عام ١٩٨٨، بعد أن قال عن السينما الجديدة التى بدأت تداهم العالم الراسخ الذى كان واحداً من الذين أسسوه وبنوه: (فى يوم من الأيام ذهبت إلى الإسكندرية ووقفت أمام البحر ودققت النظر فى كل الأمواج بحثا عن الموجة الجديدة فلم أجدها) وهى سخرية رافضة ومريرة، تلازم الذين ينوا مجدهم على مايخالف الجديد الوافد القادم من التيارات الجديدة.

محمد عبد الفتاح هذا المؤرخ الفنى الهادئ الواثق قادنا إلى عالم حسن الإمام: الحياة والفن والتكوين والمزاج المؤثر والنقد والمدح والهجوم، فى سلاسة راقية وأسلوب هامس مع قائمة بأفلامه تزدحم فى صبر بأسماء الفنانين المشاركين والفنيين الذين هم وراء صناعة

أى فنون ليقدم مرجعا يضاف إلى إسهاماته السابقة والمتوالية فى دوراتها، وحتى تكتمل ساحة المعرفة، ولا سيما حينما تعدينا ذكرياتها إلى حياتنا الأولى حينما كانت فاتن حمامة تنظر فى حزن ممتثل صابر إلى وجه فريد شوقى فتبكى فى طفولة لا تزال عالقة فى جوانحنا حتى اليوم.

١٩٩٩/٤/١١

القلب القديم

ماكادت أسوان تطل من بين الأشعة الليلية المتلألئة حتى أصبحت ذاك الفتى القادم إليها فى أكتوبر ١٩٦٢ بحثا عن عمل، كانت أحضانها أكثر دفئا من قريتى ومن العاصمة، أيامها وحتى الآن استقبلنى على محطة القطار الصديق الضاحك أبدا المتقافز فى نشاط «أبو فصادة» محمد شاهين وبرفقته موسى وآدم المغسولان ببراءة الأهل الطيبين، وبعد جلسة حميمة مع فوزى الدكتور المتعاشق مع ثقافة الناس ومع نخبة من أدباء المنطقة فى أثناء الليل وقد انتصف ، ولابد لى أن أواجه القلق الجارف، ذاك الذى حال بينى وبين النوم. حيث فى الصباح المبكر تركت الفندق خلفى كى أنزل إلى المدينة المتثائبة.

كنت مشدودا إلى قلب المدينة دون وجهها الاستثمارى المهيمن على شواطئ النهر، ومع كل التغيير تظل الشوارع والحارات الخلفية محتفظة بذاك الود الإنسانى الذى يختلف تماما عن ابتسامة

الاستقبال السياحية، أطلال مكتب الأستاذ عبد المنعم الشامى المحامى الذى عملت عنده «كاتب محامى» فى تلك الأيام ثم الحارة التى لا تزال لافتة المحامى سيد على سيد ثابتة ومخنوقة على بابها واختراقا أعمق استرحت قليلا مع كوب شاى فى الشارع، وهنا كان مكتب شاكر جندى نقيب محاميى المدينة أيامها الكل رحل، اندثرت أجسادهم وظلت الأطلال تود الإفصاح عما كانت تعرفه عن الحال والأحوال منذ اربعين عاما أو أقل، حارة القطانية لازالت تحمل بين غضون بقاياها القديمة أثرا من روائح المتعة القديمة والمرح القديم، كانت القطانية فى أسوان تجمع بين صفات شارع كلوت بك ومحمد على، والباطنية فى العاصمة، ومشهد بعض نسائها المتناثرات فى جلستهن المتحررة آخر النهار لم يجد طريقة حتى الآن فى نصوص أدب أسوان بسبب ما تكتنف الموضوع من مساس بالأخلاق الكريمة، كان حجاج البانى- شاعرنا المتألق يضحك أيامها ويلعن اليوم الذى عرفنا فيه دون أن يتراجع ليظل معنا فى السعير المؤكد فى الآخرة.

كانت قبة على أبو الهوا ثابتة فوق قمة الجبل الغربى- صامدة فى مجال الرؤية دون أن تقع فى ظل العمارات ذات الفنادق الشاهقة، غير أن غرب أسوان وجزيرة النباتات وصخور جنادل النهر لم تستطع أن تصمد غابت وراء الأفق لتصبح أجزاء من ذكريات أسعى حتى أعبر النهر إليها، وهو ما أدى بى إلى الجلوس على عتبة نفس المبنى القديم لمحكمة أسوان أنظر فى وجوه الداخلين إليها دون أن أعثر على وجه واحد أعرفه، فبدأت أحاول اختراق المدينة شرقا إلى الخلف من جديد.

١٩٩٩/١١/٢٨

طيبة

تلقى طيبة بالودع على رملة التاريخ فينتشر المستقبل ماضيا متألقا بالوقائع والفوران، يظل المستقبل فى طيبة ليظل يلوى العنق للخلف منبهرا ولتظل طيبة علما على الحضارة المبكرة كل أحقاب التاريخ قلب العالم مدينة الأرباب الكبرى كما دعاها هوميروس، وذات المائة باب ومائة معبد ومائة جناح ومائة شمس، كانت عاصمة للإقليم الرابع الصعيدى القديم، ثم لم تلبث أن شمخت لتصبح عاصمة العالم القادرة على طرد الغزاة من أى موقع مصرى فى الصعيد أو الدلتا، فلتكن منف أقدم العواصم، والقاهرة أحدث العواصم ولتكن الأسكندرية عروس المتوسط والمنصورة عروس الدلتا وأسيوط عاصمة الصعيد والمنيا عروس الصعيد، عليكم بتوزيع الألقاب على المدن دون أن تجدوا لقبا يناسب طيبة الأقصر فتظل طيبة الأقصر فقط، قصيدة تمتد بحورها من دنقلة النوبية جنوبا حتى تغسل رأسها فى البحر المالح شمالا، لكن دائرة المعارف تقول

بالنص: فيها انفجر بركان الثورة على الهكسوس تحت لواء أمرائها الأبطال فتحررت مصر واتسعت آفاقها السياسية لتغدو طيبة عاصمة المملكة المتحدة من وراء دنقلة إلى اطراف الفرات حيث الأناضول وكردستان، وظلت رغم تقلبات الدهر زهرة عواصم الدنيا، وكانت الجيوش المغيرة لا يشبعها إلا تحطيم هذه الزهرة المتألقة: الأشوريون والفرس والبطالمة والأسيويون والإفريقيون والأوربيون- من كل صوب وبين كل قرن وآخر يكون المداهمون، لتعيش لنا بعد كل هذا العناء- هذه الزهرة ذات الرائحة الجميلة، لتسترخى وتضع أقدامها تحت رقبة العصر الحديث وترتاح تفوح منها العطور والقصائد والقصص واللقاءات والموسيقى والأنغام (الصادرة بالذات من تمثاليها الشهيرين ممنون) ولتترك بصماتها على بدايات خلق العالم الأدبى فى محاولة مبكرة للخروج بالنص من جوف القاهرة، ولقد شاءت ظروفى من زمن أن أسترخى على البحرية المقدسة ليلا وأحلم، وأن أتسلق الروابى الغربية فى وادى الملوك أو مدينة هابو أو وادى الملكات وأكمن وحيدا شديد الذوبان فى أنفاس المكان، وحتى بعد أن أشرقت شمس الصوت والضوء على المعابد ليلا ظللت أغامر بالبقاء وراء حجب الأعمدة والحوائط مجبور الخاطر حتى يحملنى الحراس على المغادرة لا مدينة عندى تساوى فى القلب طيبة الأقصر- عندى وعند التاريخ أيضا، أعود بعدها إلى ضجيج الأسمنت والمسلسلات التليفزيونية ضيق الصدر، حيث تتلاشى بوابة جبر الخاطر، لتظل طيبة الآسرة صامدة تنظر إلى بنصف عين عبر المسافات الطويلة، ثم تلقى بالودع على رملة التاريخ لتظل أعناقنا ملتوية للخلف.

١٩٩٧/٣/٢

أمواج العريش

عدت إلى العريش وإلى شاطئ «المون لايت» بالذات كان القمر ينتظرنى- كما توقعت والهدوء الرقيق فرش الأريكة على البحر مباشرة، المسئولون وذوو الشأن قاموا بتعبيد المنطقة البرية من الرمال لتصبح الكورنيش الذى يقدم المتعة للمشاة والعابرين مع إضافة بعض الدراجات المتسكعة، أفادنى أن الصيف لم يضغط على تكوينات الشاطئ بالازدحام فظللت مستمتعا بالهدوء- على أى شكل من الأشكال، بعض النخيل أصابته نوايا تحطيمه فى سبيل استثمار الشاطئ، الأمواج أثارت قليلا من الضجيج-الهامس- والمحبوب الذى يتسلل من نوافذ الحجرة فى الصباح الباكر، وهو ما ساعدنى على أن أسخر من هذا الذى أرسله العزيز سميح النشار- مدير الثقافة- كى يصحبنى فى سيارته- التى تبدو فاخرة- لتناول الغداء معه خارج «المون لايت» وكنت فى حاجة إلى اختراق المدينة، لكن

صاحبنا- ذا السيارة التى تبدو فاخرة- كان عابسا جافا «بلحة جافة» من تمر عقيم، كان واضحا أنه مسحوق من الدنيا فلماذا يأتينى؟ قلت فى نفسى: سوف يكون مؤلما أن تقضى وقتا ولو دقائق مع هذا التكوين وبالتالى فقد تركته فور وصولنا إلى المطعم وعدت محافظا على سلامة الجوانح التى تصلح لهذا الجو الجميل الهادئ، وبالتالى فقد أصبح سهلا بعد ذلك أى فى الليلة التالية أن أستمتع بأشعار أدباء العريش وقصصهم، حاتم عبد الهادى كان معه أبوه، وكلاهما ألقى النص الأدبى الذى ينتمى إلى جيله- أى الحديث والتقليدى كما كان لسمير محسن الباع الطويل مشاركا مع حاتم فى استثارة رغبتى الطاحنة أن أصحبهم إلى بعض شقوق تجربتى إن كانت لى تجربة من الأساس ، وظل أوار الجدل والإفضاء أو الاعتراف يتفاعل بيننا ويمور، سألت عن شاعر سيناء محمد عايش وتمنيت لو ناوشته فى الحديث، كما أنى افتقدت الشيخ اسماعيل الخليلى ذا القلب الكبير والذاكرة التى تحوى ادراكا لحياة قبائل العريش وعرفت أنه كامن فى داره لا يحب الخروج، وكانت شحنة الفن – الكلام والنصوص – قد امتلكت الجوانح فأعود إلى جلستى بعد منتصف الليل على أريكة الشاطئ منصتا إلى الضجيج الناعم لكهولة الأمواج- ثم طفولتها – فى الصباح الباكر ، كى أتحرك إلى العاصمة: فى صمت قلق من العودة إلى الضجيج الخشن المزخرف بعادم السيارات والنصوص الأدبية أيضا.

١٩٩٩/٥/٩

بوتقة أسوان

لم أكن مستعدا للكلام فى الأدب، وتخلصت من الكلام المرير الذى يقض المضاجع عن طائرتنا المصرية التى هوت بركابها فى المحيط الهادر بعلامات الاستفهام والمرارة والحزن الوطنى العميق، وتركت مدينة أسوان خلفى كى أعود فى زيارتى للسد العالى، أعود إلى نفسى وإلى الدفء النشط القديم حيث لا تزال آثار العمل فى المشروع سنوات طويلة قد تبلورت فى العقل وفى الصدر ذى التكهف الرئوى الأليم، وتركت السيارة خلفى لأترجل ماشيا على جسم السد العالى الشامخ، نبهنى مرافقى موسى سائق السيارة بأن الشرطة لن تسمح لى بالسير فوق جسم السد بناء على تعليمات الأمن، داهمتنى السخرية وكدت أفتح صدرى وألقى بجراحه القديمة على محطة الكهرباء، لكنى ظللت سعيدا، وهو ما ساعدنى أن ألتقى فى المساء بأصدقائى الأدباء فى أسوان، وفى الليلة التالية فى كوم أمبو: بدر

عبد العظيم وأحمد ربيع الأسوانى وأحمد أبو خنيجر وأسماء هاشم التى لم تمكث معنا سوى وقت قصير لتعود إلى قريتها تطبيقا للتقاليد وقواعد الأمان، ومبدعون آخرون عديدون ظلوا فى جدل فوار- معى - وحول تجاربنا فى المنطقة وإحساسنا الدائم والفاعل بها وقد نجحت فى انتزاع فكرة أن أكون ضيفا حتى تتاح لنا فرصة التفاعل والتواصل، إن أسوان بكل أعشابها ونخيلها ودروبها وتصاعد بيوتها فى منازل التلال تتحقق فى إبداعات أبنائها، يقيمون للنص الأدبى قدرات البيئة السمراء جاذبة الواقع تحت سطوة التناغم المتوافق الجذاب، والمغاير لكل السائد من نصوص العاصمة الكبرى، حيث تظل سماوات المنطقة تضغط بأساطيرها كى تتلاقى هامسة بالطقوس والعادات والتقاليد والقلق الطافح بالرغبة فى التحقق بين الجنادل والأحجار والنجوم والآفاق الممتدة تحت عتبات الديار، دون الوقوع فى التقسيمات العرقية المدرسية التى يميل إليها الكثيرون فى العاصمة، فصلا بين ماهو نوبى وما هو أسوانى، البوتقة الإبداعية تحمل كل التكوينات فى انصهار واحد متألق وبديع.

وهو ما لا يدركه نقادنا بسهولة أبدا.

١٩٩٩/١٢/٥

المنارة: فى الصعيد

تحركت من الصعيد وقضيت أياما فى العاصمة، ثم مضيت إلى الزقازيق شرق الدلتا كانت الحرارة لا تزال ضاغطة ربما بسبب الحب التاريخى بين الصعايدة والشراقوة، والتفاعل مع أدباء الزقازيق خفف كثيرا من الضغوط، غير أن مشروع الدكتور محمد رحومة الأستاذ بجامعة المنيا صنع ضغطا جديدا، لكنه بالغ التألق، وإثارة الحلم القديم أن يصبح لنا فى الصعيد وفى المنيا بالذات- مركز قومى للثقافة والفنون على أرقى مستوى من الفن والتقنية والذى سوف تفتتحه قريبا السيدة سوزان مبارك، وتتمثل نشاطاته فى كافة ما يرقى بالإبداع تمثيلا وأدبا وأداء وإخراجا وتوعية، وما يمتد من كل ذلك إلى الاهتمام بالطفل فى الصعيد (الذى لا تزال كل فنونه داخل عيونه المصوبة إلى التليفزيون) وما يستتبع هذا النشاط من ندوات ومحاضرات ومؤتمرات ومهرجانات، حيث ستكون الفاعلية كلها على أيدى أساتذة وخبراء متخصصين.

وهذا الحلم الذى تحققه جامعة المنيا، سوف يكون ذا تأثير بالغ فى الحركة الفنية فى الصعيد، هذا الذى يعانى من جفاف النشاط الفنى الحقيقى الذى يعلو على جهود قطاعات الثقافة الجماهيرية فى عروضها التى لا تصنع التيار الضخم والتى يرهق أصحابها الكثير من الظروف التى تحيط بالثقافة الجماهيرية أصلا، حيث تظل العاصمة بكل جشعها المعروف محتكرة للأوبرا وعروض الباليه والموسيقى الكلاسيك أو الشرقية أو المسرحيات المخدومة بالمظهر المناسب، وكل الذى يحدث بين حين وآخر تقوم فرقة موسيقى من العاصمة ببعض العروض التى فى أحيان كثيرة لا تتجاوز الليلة الواحدة ويكون مسرح العرض مزدحما إذا ما كان السيد المحافظ قد قام بتشريفه وما يكاد يتحرك حتى يخلو المسرح من أنصاره، أو – فى أحيان معروفة– يقوم أحد نجوم المسرح بمغامرة بارعة فيعرض إحدى مسرحياته ليلة أو اثنتين ليثبت أنه شجاع وباسل، ومع أهمية هذه العروض القليلة النادرة إلا أن وجود مؤسسة ضخمة تكون مركزا قوميا للثقافة والفنون إنما هو خطوة حقيقية نحو التحضر الحقيقى، وهو ما يوجب على أبناء الصعيد– وفى القلب منهم أثرياؤه وأدباؤه – وأساتذته أينما كانوا– أن يعضدوا هذا المشروع، وألا يضيقوا بمن لا يكون فاهما لوظيفة مثل هذه المنارة الفنية فالأمر يحتاج إلى صبر، وإلى دأب مع إدراكنا المبكر أن كثيرا من المسئولين قد لا يدركون هذه المعنى والذى سوف يجعلنا نخرج مثل هذا المركز القومى للفنون– بالمنيا– من سطوة بعض أصحاب المناصب ليكونوا –مثلى ومثلك– مجرد رواد كى يشهدوا مسرحية «كارمن» على مسرح المنيا قريبا بإذن الله.

١٩٩٩/٨/٨

القاهرة

كل المدن كذلك، لكن القاهرة أكثر لا تعطيك نفسها لمجرد أنك عبرت فيها أو جلست على أحد مقاهيها أو تشاجرت مع بعض سائقيها أو زرت ابن عمتك فاصطحبك إلى حديقة الحيوانات، إنها تعطيك طرف الثوب أو شطيرة فول أو قرص طعمية أو قصيدة شعر أو قصة قصيرة، وتظل محتفظة بأسرارها وتعقيداتها وحيائها ودفئها وثقافتها– طبقة متداخلة مع طبقة ليس من السهل، تحديد الفاصل بينها، وبدون أدنى حرج يعتقد البعض أنه اقتحمها لأنه نزل من الطائرة وافترش حجرة جيدة فى فندق، ثم توجه إلى واحدة من المقاهى الأربعة فى طلعت حرب وباب اللوق، فالتقى بالجزء المتسكع من الثقافة، ومعظمه من هؤلاء الذين لم يتحققوا بعد، أى لا يزالون يستشرفون التجربة دون مرار النضج وهم أيضا الذين لم يستقروا فى عمل لتصبح الثقافة جزءا اساسيا من منظومة حياتهم اليومية،

ويظل الانتظام فى المقهى أو المشرب هو الأساس فى الحياة كلها، حينئذ يصبح هذا الضجيج فى مفهوم هذا العابر الواهم هو الثقافة ذاتها، دون أن ينتبه إلى أن كثيرين من المثقفين الجادين لا يلجون هذه الأماكن أبدا أو يلجونها يوما واحدا فى الاسبوع على الاكثر ومع ذلك نفاجأ بملف كامل عن الثقافة المصرية كهذا الذى صدر فى مجلة رياض الريس الناقد وبه مجموعة من القصائد والقصص ، يرى معد الملف ومعه المجلة أنها تمثل الثقافة المصرية المعاصرة، وكلها- دون مبالغة - ودون وقوع فى أدنى خطأ يستوجبه التعميم- لا تزال محاولات لم يستطع أصحابها أن يشقوا مجرى خاصا أو أن يتألقوا جميعا فيضيفوا تيارا له أثره التجديدى ومعناه التحديثى، فكيف يتسنى لعاصمة- كالقاهرة -المعقدة تتوقف قدراتها الإبداعية عند هذه المحاولات (الجديرة بالتشجيع)؟؟ أو كيف نسقط من الحساب عددا من المبدعين تجاوزوا مرحلة التقلب إلى مرحلة القدرة على الأداء المتميز؟ فنرفع أيدى الذين تواجدوا بالصدفة على المقهى على حساب الذين لا يعد المقهى بالنسبة لهم موقعا متميزا للقاء، مثال هؤلاء الذين دخلوا الثقافة القاهرية مجرد عابرين والتقوا بهؤلاء المبدعين على عتبة باب جبر الخاطر؟؟

ولماذا هذا الجهد الخارق الذى توقف عند حدود طرف الثوب أو شطيرة من قرص طعمية؟؟

من ينسى هذا الجسر؟؟

قام هذا الجيل الذى يتسيد الآن على الساحة الثقافية الصحفية المكتوبة (وهى غير الساحة الثقافية المتفاعلة) على أربع: أولها الحظ، والثلاثة الباقية غابت عن ذهنى، أماالحظ فتراه يتقلب وسط كومة المقالات الهشة، والاعمدة الأدبية القشة، والتى تبدو وكأنها سوف تقصم وسط البعير- مع أن هذه الأعمدة يمكن أن تكون قادرة على قصم ظهر نملة بأكملها مع أكبر قدر من الضجيج، لأن الكتابة الضحلة هى ردود أفعال لحياة ضحلة وإفراز لديناميكا الحظ، والذى تقوم فلسفته على تسويد المساحة المتاحة بأى كلام، حتى لا تقع ذات مرة فى واقعة قد تطيح بك وبمقالاتك كلها.

غير أنى فوجئت صباح الجمعة ١٩٩٤/٧/١٥ بواحد من المقالات العمودية المستثناة، حيث كتب الأستاذ محمد سلماوى فى ملحق الأهرام يلفت النظر إلى تلك السلسلة الجديدة التى بدأت فى

إصدارها الدار المصرية اللبنانية بعنوان «روايات جائزة نوبل» والتى يتولى الإشراف على إصدارها الصديق فتحى العشرى.

الممتع أن الأخ سلماوى وله شهرته المعروفة فى الأدب بقدر ماله شهرته المعروفة فى المسرح- وبعد أن مدح السلسلة بما فيها من دراسات عن العمل المصاحب لها، فقد كتب فى جدية صارمة:(وفى هذا الصدد فإنى أرشح للسلسلة رواية مهمة وغير معروفة لدينا فى الوطن العربى حيث لم يسبق ترجمتها من قبل، وهى جسر فوق نهر درينا، لفائز آخر بجائزة نوبل هو الكاتب اليوغوسلافى «سابقا» أيفو أندريتش.

هى المرة الأولى التى أقرا فيها عمودا كاملا للأخ سلماوى، ربما يرجع سبب القراءة هذه المرة إلى اصطدام عيونى بايفو اندريتش بالذات، وقد سببت لى هذه القراءة صدمة ما كنت أود أن أقع فيها ضد واحد من أدباء جيلى، لولا أنى تذكرت المواصفات الواردة فى أول المقال.

فقد قامت وزارة الثقافة أيامها بعد ضم وزارة الإرشاد القومى لها - الإعلام حاليا - وقبل التمصير تم تأميم المنشآت الثقافية، وعن طريق دار الأدباء ١١ شارع طلعت حرب، بنشر ترجمة ضخمة لرواية (جسر على نهر درينا)، قام بها أستاذ المترجمين السفير الدكتور الشهير سامى الدروبى.

لكن الذى تصورته- أن رواية مثل جسر على نهر درينا- ظللنا سنوات طويلة نتكلم عنها، ونتفاعل فيها، إنما هى واحدة من اللبنات الأساسية التى ذابت فى كياننا مثلها كالأرض الخراب وأربعاء

الرماد لاليوت، والعجوز والبحر، (وقد أصدرتها هيئة الكتاب مبكرة بعد حصول هيمنجواى على جائزة نوبل بسنوات) والغريب لألبير كامى، والأمواج (فرجينيا وولف ترجمة فتحى العشرى)، وغيرها من أعمال لا يصح أن تظهر فى القرن الذى عشنا فيه وتهرب من ذاكرتنا أبدا، إلا إذا كانت ذاكرتنا الثقافية لا تهتم اهتماما أصيلا بالأدب، وإن اهتمت فإنما هو من باب الوجاهة الاجتماعية.

وعلينا نحن كتاب العواميد أن نتذكر، أو نتثقف ، أو نسأل أى أديب عابر عن جسر نهر درينا حتى يدلنا عليه.

١٩٩٤/٧/٢٤

شمال.. جنوب

أسعدتنى الإسكندرية حينما قدمت لى الدفء الشتوى النادر، والرفقة الكريمة- والكريمة جدا، من النوع الأول- أى مع الدفء - كان الجنبرى والبورى وكرم الدكتور رمضان الصباغ (وهو شاعر جيد ولن أكتب عنه بسبب كرمه) وكرم صديقه- الدكتور ضياء مهران- المتخصص فى تاريخ مصر القديم، وأول واحد من سنوات طويلة- وجدت فى بيته مكتبة من الموسيقى الكلاسيك، أى أن انتشائى كان دسما، وعندما اخترقت الطريق الصحراوى عائدا، ظل الغمام متألقا لا اكتئاب فيه ولا ضجر، كنت سعيدا.

وقت قليل فى البيت، ثم السفر إلى ديروط الدافئة جدا لأعود دون نوم ثم إلى أسيوط، لألتقى بالشاعر المبتسم سعد عبد الرحمن، والذى يحاربنا بابنته (سمر) وكأن أحدا لم ينجب بنتا جميلة موفورة التعليقات- سواه - مع أنه كان يجب أن يشعر بالحرج لأنه لم يصدر

شعرا حتى الآن كما أنه أنجب بنتا أخرى- يدربها على الجمال والتعليقات وليس فى ذلك غلو حين أقول من لم يصدر له كتاب الآن بالذات فسوف يندم نصف الدهر على الأقل، وهو الأمر الذى نجا منه صديقنا المشترك الشاعر درويش أنجب العيال والدواوين ، والآن يقوم بالتمثيل فى مسرحية عن هاملت (الذى يستيقظ متأخرا) من تأليف ممدوح عدوان وإخراج رشدى إبراهيم، والتى تعرض على مسرح قصر ثقافة أسيوط.

غير أن المفاجأة وكانت فى حاجة إلى إعلام يخدمها هى معرض الخط العربى، الذى تضمن لوحات الدكتور أشرف صبحى، محمد صابر، واضح أنه مصمم على إبراز اسم الجد محمد من خلال الاسم واللوحات تشكيل لآيات قرانية، وقيمتها الفنية عالية جدا- رغم كثرة ما أقيم من معارض تشكيلية للخط العربى، المجرد أو المعتمد على نص قرآنى ذلك فن هذا الفنان يقدم جماليات ناعمة ودقيقة وترتفع بالعاطفة الدينية إلى أعلى السموات، أقول ذلك لأنى شاهدت معارض من قبل وفى مواقع أخرى - كان التشكيل للنصوص فيها يتوقف عند الحدود المدرسية ، وهى لا تصل إلى من لا يجيد العربية، أما الدكتور أشرف فإن إشعاع التكوينات قادر على النفاذ إلى البشر لاعتماده على القيم الفنية العالية والتى تخدمها موهبة واضحة النضج، معرض يشع بالسعادة، الفنان أيضا أستاذ فى كلية الطب البيطرى أسيوط، نتمنى أن ينتبه إليه إعلام القاهرة.

قبل الليل قرأنا قصصا لعصام معتمد، إيهاب دردير، صابر فتحى، محمد مسعد، وتحاورنا حول قضية اللغة والخيال، مع أهمية

إدراك والوعى بالمنتج الأدبى العالمى- ولا سيما فى الأعمال الأدبية (الأم) حتى لا يقع الكاتب فى تجارب الآخرين دون علم أو وعى كاف لتطويرها أوتغييرها (أو إنشاء نص محاور للنص الأصلى) ومن الملاحظ أن اللغة عموما مخدومة بالنحو الصحيح، وهو ما كان يضايقنا فى نصوص الندوات المفتوحة، إلا أن بعضا منها وقع فى مأزق الأسلوب المدرسى الذى يلازم البدايات عادة، ولا سيما فى النمط الرومانسى الذى يسعى وراء حبيبته فى الأحلام وفى الواقع، ويبكى العالم ويحيل كل المكونات إلى نحيب.

وسوف نقضى الليلة المقبلة فى منفلوط- بإذن الله، ونأمل أن تستثيرنا قصصها وقصائدها فلا نكتم الأمر فى الصدور.

١٩٩٦/٢/١١

يوم مصرى

ظل هذا اليوم- الأحد- آخر فبراير - يفرش تكويناته المصرية فى هدوء يستشرف دفء الربيع، وأحمد مرسى- الدكتور العاشق لكل التفاصيل فى بلادنا- يشرح أكثر مما يستفسر، وكانت مدينة أسيوط قد جمعت حاجيات النهار استعدادا للدخول فى سكون الليل، والأصيل المصرى ألقى ببعض الغيوم فى الأفق كى يصبح أكثر جمالا، وانحنت الصحراء إلى آخر المدى الغربى فى خجل كريم ومرقت البيوت فى الحقول تاركة الشموخ الرائع لمآذن المساجد، وبدأ ضيفنا أستاذ التراث الشعبى يستكين بعد فورة جدل جميل مع الطحلاوى - الدكتور المحافظ، كان الريف يشعر بالحرج كلما اخترقت هدوءنا سيارة مارقة لكننا نجحنا فى عدم الانتباه إليها.

كانت هى المرة الأولى، التى يزور فيها ضيفنا الدير المحرق -آخر غرب منطقة القوصية، وقادنا الراهب الشاب المحب للغرباء

فيلوكسينوس إلى أنحاء الدير المتعددة بصفتها كانت ملاذا فترة من الوقت- للسيد المسيح وأمه العذراء مريم - مع يوسف النجار فى رحلتهم المعروفة من فلسطين داخل مصر، والتى انتهت آخر محطاتها إلى جبل العذراء الذى يستشرف مدينة أسيوط وبين ثنايا الدير كانت بلادنا تتحول إلى إشارات فى كل التفاصيل الجدران والهياكل والأرضيات والترانيم والرغبة فى العزلة والانزواء توحدا مع الرب الواحد وتهدجا يمنح عقلنا الرغبة المتأججة فى الادراك والاستيعاب.

فور عودتنا إلى مدينة أسيوط كانت السهرة الراقية والنادرة مع أوركسترا القاهرة السيمفونى على مسرح الثقافة، وكانت هى المرة الثالثة التى أستمع وأستمتع فيها بعزف السوليست المصرى العالمى- رمزى يسى- على البيانو هناك مرتان سابقتان فى الأسبوعين الماضيين على المسرح الكبير بدار الأوبرا بالقاهرة، وبعد هذه الجرعة من موسيقى جورج بيزيه وشوبان وتشايكوفسكى، قادنا الحظ السعيد إلى بيت الفنان سعد زغلول حيث لوحاته التشكيلية المشعة جمالا وكذلك قطع قماش (التل) بعد أن صاغها زخرفة عناصر جماليات البيئة، والتى أثارت فى الجوانح حزنا غامرا بسبب إحساس غامض باحتمالات اندثار هذا الفن الوطنى الشعبى العريق تحت سطوة التشكيل المصطنع الوافد من الغرب ليرتديه الناس، سعد زغلول يقوم بجهد رائع كى يستعيد فن «التل» وضاءته القديمة.

كان ذلك هو اليوم الأول الذى دعانا إليه أخونا خبير الثقافة صلاح شريت والذى لم يعد يعمل فى الثقافة الرسمية، لكنك رغم أنك

لن تحس بذلك لأنه قادنا إلى يوم مصرى بالغ الامتاع، لنعود إلى عمق بلادنا- بين وقت وآخر- ومعنا صديق يدرك ويفهم مثل أحمد مرسى، بعدها يصبح مناسبا أن نحضر اللقاء الأدبى المزمع عقده فى مركز الشباب، لنتجه بعد ذلك -وبإذن الله- إلى قريتى التى ستظل أثيرة وجميلة: ديروط الشريف كى نحلم بيوم مصرى جديد.

١٩٩٩/٣/٧

السلوان.. فى أسيوط

تحركت، تجولت، محاولا البعد عن جدران الكتابة والقراءة، أراوغ الورق متسللا إلى الحقول وشواطئ الجداول والترع وظلال الشجر، لكن القمر لم يلبث أن اختفى لايود الإشراق فأصبح الليل ليلا، وصممت أن أعطى لأنوار الكهرباء ظهرى مغلقا مسامعى عن ضجيج أصوات الموتورات فى السيارات وألات الرى وفحيح التليفزيونات (ولا أعرف حتى الآن: لماذا يظل أهلنا فى المدن والقرى يرفعون أصوات التليفزيونات إلى الدرجة التى تحطم الأعصاب.. وهم فى غاية السعادة والنشوة)، حتى الطرق الممتدة بعيدا وسط الحقول أطاحت بجمالها عوادم الغازات المنطلقة من الموتوسيكلات بالذات، وهو ما جعلنى ألقى بنفسى فى خضم الجدل الأدبى، إنه المأوى والملاذ والعلاج، تحت سطوة المقولة الكامنة فى الجوانح: وداونى بالتى كانت هى الداء، حتى لو لم يكن المقصود بذلك الجدل الثقافى فى الندوات أيام «أبو نواس».

واللقاء الأدبى الأول كان فى ساحل سليم- جنوب مدينة أسيوط بمسافة قليلة، وبعده بأيام لقاء آخر شرق أسيوط فى قصر الثقافة الذى يحمل اسم كاتبنا العظيم الراحل أحمد بهاء الدين وقامت القصيدة- دون القصة -بالهيمنة على الندوتين، قصة واحدة فقط لحمدى سعيد ذات مذاق خاص، فى الندوة الأولى وكان واضحا فى ندوة أحمد بهاء الدين عدم دراية كثيرين بإلقاء الأشعار مما أتلف العلاقة بين النص والمستمع ، حيث ضاعت الكلمات وعلاقاتها وماتبثه من إيحاءات فى المسافة بين صاحبها وبينها كما أن الذى أدار الندوة ظل منفصلا- وبلا دراية بالمرة- بما يعنيه هذا الانفصام، مع أنى رأيته من قبل فى العديد من اللقاءات، لكن ذلك كله لم يمنع محاولات الجميع تشجيع أبنائنا هؤلاء حتى لوتوقف الأمر عند حدود التصفيق المدرسى المعروف، إن بضعة نصوص كانت فى حاجة إلى نقاش حول جمالياتها وقوة الإشعاع المنبث منها، وهو الأساس الذى تقوم عليه شرعية مثل هذه اللقاءات، أى أن التوقف عند حدود اللقاء الفورى السريع وغير المتقن يقف حائلا دون تواصل النص الأدبى معنا، وقد أثارت ذلك مديرة قصر أحمد بهاء الدين طالبة مناقشة النصوص، إلا أن العدد الذى كان قد ألقى وبطريقة الإلقاء المشار إليها- حال دون رجوع الذاكرة إلى النصوص وأصحاب النصوص، وهو أمر يمكن تداركه فى لقاءاتهم القادمة- بإذن الله- مع ضيوف آخرين.

وكان هذا وحده سلوانا ضروريا كى نعود من جديد إلى خضم الأدب بأمواجه المتدفقة فى الكتب، وفى الكتابة أيضا..

١٩٩٩/١٠/١٠

نسيم.. سمالوط

خشيت أن يقع اللقاء- مع أدباء سمالوط- فى دائرة التكلف والمدرسية والاصطناع، وهو ما يحدث فى الغالب حين يقود الجلسة ذو منصب إدارى، غير أن اللقاء لم يلبث أن أصبح وفى سرعة فائقة تلقائيا وحميميا، لأن حمزة العيلى رئيس مدينة سمالوط- ومركزها أيضا- كان ابن بلد، وقد أكبرته أكثر حينما عرفت أن أخاه متزوج من ابنة أختى- أى مجد أضخم من ذلك؟ لكنى لم ألبث أن اندمجت فى قصائد علاء أبو العزايم وعماد حسيب ورأفت سنوسى ونصر الله لبيب وجمال أبو سمرة، كما كان لفن القصة نصيبها متمثلا فى محمد عبد المنعم فقط.. واحد مقابل مليون شاعر، لكن القمر كان خارج القاعة يفرش سماء سمالوط - بعد منتصف الليل- بهمس بالغ الصدق، وترعة الإبراهيمية تود أن تحملنى كى لا أعود إلى زوجتى على مسافة مائة كيلو متر جنوبا ثم مائتى كيلو متر شمالا

حيث أولادى، وشطآن القصائد تقودنى إلى إحساس طاغ بأن ما يعتمل فى نفوس الأدباء يرجع بشكل ما إلى نوع من أدب المقاومة، الرفض واضح- فى النصوص- لكل أنواع التزييف والتمزق والألوان والضجيج والبؤس المتقافز على درجات تمدين زائف، الوحدة تخترق القصائد كما فعلت فى مجموعة قصص مدحت يوسف «سؤال فى الوقت الضائع» وهو صديق قديم يمتلك مساحة من الطيبة وحسن النوايا لا تتواءم مع العصر، «أن الإنسان لفى خسر» ولقد قام مدحت يوسف بإضفاء جو من الحميمية أحبه وأسعى إليه -بالإضافة إلى سيارته التى أعفتنا من المشاجرة الحتمية مع العزيز جلال عابدين - مدير ثقافة المنيا، والذى كان واضح الارهاق (وعرفت بعد ذلك أن ثمة مشاكل صيفية تعبث فى محتويات أمعائه) فماذا لو أنه أكمل الكارثة بالعشاء بعد منتصف الليل بساعتين فى حديقة شاطئ المنيا دجاج مشوى وطحينة وأضواء القمر المثير لنوع من مسك السيرة- وعلى حساب مدحت يوسف؟ تمنيت لو أن فوزى وهبة- الذى فازت روايته «عاشق النهر» بجائزة احسان عبد القدوس ٩٤، وقع معنا فى هذا الموقف الساحر اللقاء الأدبى هذا ازداد تفاعلا بمشاركة حمدى طلبة - المخرج المسرحى، والذى ناوشنى بأسئلة تستدرجنى إلى مناطق فى الحوار- أو الاعتراف- نتحفظ فى ابدائها عادة ، وظل أديبنا بهاء السيد صامتا على غير عادته فى المشاكسة، ولا سيما فى مجال الأسئلة الإنكارية التى تحمل فى صياغتها إجابات شائكة، وقد بحثت عنه- وعن زملائه أدباء ملوى، كى يشاركنا فى موقعة الدجاج المشوى، لكنهم كانوا قد أحسوا بالتآمر-

فيما يبدو، لم نجد لهم اثرا، وهو ما ساعدنا على مداورة ضوء القمر بنسيم آخر الليل بأثر القصائد، وكل ذلك يمور- فى هدوء- بين رحاب النفوس الجميلة، أو هكذا تبدو الأمور تحت سطوة نسيم سمالوط.

١٩٩٦/٦/٦

الأقواس

ظللت طوال هذا الأسبوع – ولدا طيبا يسعى بين الكثب، اضطربت على السطوح مع شجرة لبلاب عبد الحليم عبد الله والولد يزنق البنت (لاتنزعج يا صديقى فقد كنت نصف كريم) ومع الموروط فى حياته وحبه محجوب عبد الدايم فى القاهرة الجديدة ، ومع عدد معقول من ذوى البأس فى الحب والشعور الوطنى عند احسان عبد القدوس، وتنغلق الدائرة بأقواسها التى يمثلها قاسم مسعد عليوة، وعيد صالح، وراوية راشد ومحمد عيد إبراهيم وأحمد زغلول الشطى ورضوى عاشور، ثم ليلة طيبة مع إبراهيم عبد القادر المازنى، عشرات من الوحدات الروائية والنثرية والشعرية تصدرها دار الهلال وهيئة الكتاب وشرقيات والثقافة الجماهيرية الأغلى والأرخص كله يدور فى الأرقى والأسمى، أسبوع دسم تقلبت فيه بين مراتب المواقف الساخنة وتضوع الأنفاس اللاهثة وانطلاق الخيال المتألق، لم

يمر على مصر عصر اندفعت فيه حركة النشر إلى هذا المدى، حركة تجمع الجديد والقديم والكلاسيكى والثائر والمستقر والمتلمس طريقا للظهور واكتشاف مناطق جديدة للإبداع، ومن أجمل ما يحدث الآن هو ما تصدره الثقافة الجماهيرية من كتب الروايات والقصص والأشعار بخمسين قرشا، الورق غامق رخيص لكن الغلاف جميل، وليس مهما بالمرة أن يكون الورق متألقا لقد جربنا النشر الفاخر ونحن فى حاجة لأن يقرأنا الناس فى القرى والنجوع والكفور بخمسين قرشا، ويوازيه فى ذلك ما تصدره الهيئة العامة للكتاب من كتب الأساتذة الكبار بجنيه واحد، كل ذلك جميل ويشعرنا بالسعادة حتى نخلع المواطن المصرى بعض الوقت من أمام التليفزيون، وحتى نكسر حدة الآراء المتطرفة والتصرفات الدموية والاتجاهات التخريبية، إنه الطريق الصحيح لعادة فن القراءة إلى سابق عصره، حتى تنفتح العقول على آفاق أكثر رحابة وأعمق إدراكا، لقد قضيت أسبوعا أسبق مع محمد عودة فى كتابه عن الملك فاروق، فلم أجد أحدا أتكلم معه بعد الكتاب، فالكتاب بخمسة عشر جنيها وهو مبلغ بالتأكيد قليل بالنسبة لموجة الغلاء، لكنه كبير بالنسبة لدخول وثروات عموم القراء الجادين، ولسد هذه الهوة الواسعة يصبح العلاج هو هذا الإنتاج الوفير الرخيص.

لكنى لاحظت– للأسف– أن هذا الإنتاج لا توازيه حركة عرض وكشف ونقد فى الصحف والمجلات، لتنبيه القراء وإثارة اهتمامهم، ولا يكفى أبدا أن تتوقف المسألة عند المربعات الإعلانية فى ذيل الجرائد اليومية، والتى تتم لمرة واحدة فلا ينتبه لها كثيرون، لابد من

تكاتف الكتاّب للمساعدة فى الوصول إلى ما يجب أن يقرأه الجميع.

وهى فرصة أن نعود أولادا أبرياء نحلم بالقراءة وبالحب وبالأيام التى كنا لاننام فيها انتظارا لحل أزمة المحبين، الساعين بين تلك الأقواس الثقافية الجديرة بالاحترام.

١٩٩٥/١٠/١

مؤتمر ٦ أكتوبر

لعلها المرة الأولى- فيما أعتقد- التى أرى فيها هذا المشهد: واحد من المحافظين يفتتح مؤتمرا للثقافة الجماهيرية دون أن يصحب معه سيادة مساعد وزير الداخلية مدير الأمن، ومدير قوات أمن الدولة، وسكرتير عام المحافظة، والشيخ الإمام مدير الوعظ وبرفقته الواعظ الأكبر لمصلحة السجون، مع أهمية أن يكون مع كل هؤلاء رئيس المجلس الشعبى، ورئيس المدينة، ورئيس التنظيم والمرافق، وممثل الحزب الوطنى، وسيكون ترتيب المقاعد تعبيرا عن أهمية المناصب، لا تسرح بعيدا ففى جميع المؤتمرات كانت هناك مقاعد لاتزال خالية للأدباء الضيوف- أصحاب المؤتمر، آخر الصفوف الخلفية، مع مراعاة أن تظل القصيدة العربية عمودية مشدودة للبنيان القديم، الموروث- والمقدس، وأن تحض القصة على الفضيلة وتنهى عن الرذيلة ليتاح لبطلها الغلبان أن يتوسد الغبراء ويلتحف بالسماء.

لكن مؤتمر أدباء الجيزة الذى انعقد فى مدينة ٦ أكتوبر بالمحافظ

ماهر الجندى، يرأسه أستاذ مؤثر: الدكتور عبد المنعم تليمة ، خلا تماما من ترسانة المناصب المرهقة والمرعبة فأحسسنا براحة قصوى لم نجربها منذ مؤتمرات عديدة، بل وتواصلنا فى إنسانية رحبة وعميقة- مع المحافظ المستشار الذى تحدث عن العلاقة المؤثرة بين الكلمة والصورة والتى هى موضوع المؤتمر، كان واضحا أن خبرة المستشار ماهر الجندى فى الاحتكاك القانونى أثمرت ذائقة أدبية نادراً ما تتوافر فى كبار المسئولين، كما أنه تكلم فى تلقائية دون تجهيز مسبق لورقة يعدها المحترفون الذين أصابونا بملل مرهق فى مناسبات مماثلة.

عبد المنعم تليمة كان قوياً- كعادته- وأشار إلى ضرورة أن يهتم المؤتمر بمخاطبة حبيب العادلى - وزير الداخلية- ليعيد النظر فى الموقف المرهق (وهو موقف شديد الحساسية للمثقفين) الذى أحال به الصديق حمدى البطران إلى المساءلة لما جاء فى روايته الأدبية من أحداث ووقائع، وكان زملاؤنا على المنصة وبعيدا عن المنصة سعداء باختفاء القوى الأخرى التى تصلح للاحتفال بعيد المحافظة، وعيد الفطر، وعيد النصر، وعيد عاشوراء، وعيد الأضحى، ورؤية هلال شهر رمضان المعظم، وهو ما لا يتواءم مع افتتاح مؤتمر مثل هذا، جاء ثقافيا خالصا، دون شد وجذب فى أمور تحب الثقافة أن تغض البصر عنها..

١٩٩٨/٥/٣١

الأمانة وأصحابها

فى كل مؤتمر تقيمه الثقافة الجماهيرية- تحت أى مسمى- أفاجأ بقضية الأمانة العامة ، مجموع الأدباء الذين يتم انتخابهم ليصبحوا أعضاء فيها يضعون خطة أو سياسة أو فلسفة الثقافة الجماهيرية أو المؤتمر أو أى نشاط معروف أو غير معروف لمن لا يدرك الأمور- أمثالنا.

وكنت أتصور أن الأمر كله لا يعدو أن يكون نظاما لتنفيذ تنظيمات وترتيبات وأن هذه الأمانة العامة (هل هناك أمانة خاصة)، والثقافة الجماهيرية بل ووزارة ثقافة العالم، لا يمكنها أن تصنع أديبا، ولا أن تخلق مبدعا، وأن الأمر لا يعدو توظيف من يكون لديه قدرة إدارية وادراكية من فصيلة الأدباء المتميزين كى يشاركوا فى ذلك، هو تكليف لا تشريف كما نسمع.

صحيح أن الممعن فى كل أفراد أعضاء الأمانة العامة هذه- خلال

الأحقاب الثقافية الماضية- يمكنه أن يجد بسهولة أفرادا ليسوا أدباء متميزين، بل إن بعضهم لم يتحقق أدبيا على أى مستوى، ولكن الأغلب والأعم هم من المتميزين -إن لم يكن فى مصر كلها ففى الإقليم الثقافى الذى يمثلونه.. غير أن الأمر -المؤسف -والمؤسف جدا- هو اعتبار عضوية الأمانة هذه هدفا فى حد ذاته، هذا الهدف الذى يتحقق له من خلاله مجموعة من النجاحات الشكلية التى لا علاقة لها بالأدب، والتى من أبرزها هذا التقاتل للفوز بها، وهذه الحسرة وهذا الكمد وهذا البؤس الذى يغمره حين يخفق فى الوصول إلى مقعد الأمانة، والذى يترتب عليه تغيير صيغة بطاقة التعريف به أو الكارت الحامل لصفاته ووظائفه: الشاعر فلان الفلانى عضو الأمانة العامة لمؤتمر هيئة قصور الثقافة - أو ما شابه ذلك، وكأن الذين خارج هذه الأمانة فقدوا كثيرا من أدبياتهم وإبداعاتهم، ذلك لأن الثقب الضيق غير المثقف الذى ينظر منه إلى الأمور، استطاع أن يرى منه التشريف فقط، دون التكليف..

ومن حق الأمانة العامة كفلسفة أساسية- أن تهز جسدها بين حين وآخر كى تسقط من فوقه بعض الأدباء المتكالسين الذين أخذوا وقتا مزمنا فى ركوبها لتستفيد من آخرين لم تواتهم فرصة الأداء الوظيفى التكليفى، حتى تهز الأمانة جسدها من جديد لتعيد استنماء جلد جديد.

صحيح أن بعض الأفراد الذين وقعوا من فوق ظهر الأمانة لن يكون لهم- من وجهة نظرهم - الوجاهة الاجتماعية التى يتصورونها، ويتبخترون بها، لكننا نعرف- من وجهة نظرنا أن هذه مسألة بعيدة

تماما عن تقديرنا وتقدير الآخرين للأدباء، فقد سافرت مرارا إلى المحلة الكبرى وكنت ضيفا على جار النبى الحلو، ولم أكن أعرف أبدا أنه عضو فى هذه الأمانة ولم يطرأ فى بالى أن أعرف حتى وأنا أراه يتحرك فى أستاذية لكى يلقى كلمة الأمانة فى جلسة افتتاح مؤتمر العريش، جار النبى أديب بها وبدونها، وهو ما يسرى على الأصدقاء جميل عبد الرحمن، وسعد عبد الرحمن، والأسيوطى، وإسماعيل عقاب، وغيرهم، أما الآخرون فان الأمر بالنسبة لهم أكبر وأخطر ويرتبط بحياتهم ويلتف حول رقابهم، وهم لا شىء إن فاتهم.

ومثلهم لا شئ دون أن يفوتهم أيضا..

١٩٩٣/١١/٢٨

هذه الانتخابات

مناسبة جادة وفرصة ثمينة أن نواجه عملية انتخابات نصف مجلس إدارة اتحاد الكتاب بطريقة تبتعد عن العواطف (وتوافق الأيديولوجيات) فإن عددا من أصدقائنا الذين اخترناهم تحت سطوة القبلية الفكرية، أو التفاعل العاطفى أثبتوا أنهم لم يدركوا معنى أن يكونوا فى مثل هذا الموقع المؤثر لأكبر اتحاد كتاب فى العالم العربى، أكبر اتحاد وليس أقوى اتحاد، إذ إن نفوس – هذا البعض– الفقيرة– جعلتهم يعتقدون أنهم وصلوا إلى العرش لتزداد وجاهتهم وافتعال ابتساماتهم مع أهمية استخدام إمكانيات الاتحاد – التليفونات بالذات – فيما لا علاقة له بشئون الاتحاد أو أعضاء الاتحاد، صحيح أنهم ليسوا كل أعضاء مجلس الإدارة لكن الصحيح أيضا أن هذا (البؤس النفسى) كفيل بتعطيل كل المراكب العايمة أو السايرة وهو ما أدى إلى اغراق كثير من أعضاء الاتحاد الذين

ليسوا اعضاء فى الإدارة داخل دوامات متاعب- ليس ضمور موارد الاتحاد فترة: أكثرها تأثيرا ومرارة.

وكى لا نترك مثل هذه الجماجم تشيع أننا نقصد بذلك تفضيل عصر ثروت أباظة على عصر المجلس القائم، فإننى أود التنبيه أن ذلك ليس مطروحا بالنسبة لى على الأقل. والحقيقة أن أزهى الفترات كانت لسعد الدين وهبة -مع قصرها وانضغاطها (عليه رحمة الله) إلا أن سيرة مجلس إدارة الاتحاد منتقدة على كثير من الألسنة بشكل لم يحدث قبل الآن، سواء كانت الانتقادات تمس موضوعات صحيحة أو مجرد تلطيش فى الكلام، وهو ما لم يحدث من قبل.

ولذا فلابد لنا من التدقيق فى هذه الاختيارات، أى الانتخابات كى ينعدل القارب ويصبح ملاذا لكافة أعضائه فى كافة أنحاء مصر، فى الضائقات التى تحيق الكثير من التعنت بزملائنا فى القاهرة وفى الأقاليم، حتى يصبح العهد المقبل- إن شاء الله - أكثر تواصلا ونشاطا حتى نزهو به ونفخر بإنسانيته، ولن يحدث هذا الأمر- أو لن نصل إلى النتيجة المأمولة إلا بالانتخاب الذكى الشجاع الذى يعلو على الخواطر والمجاملات.

أى يجب ألا ننسى أننا نحن الذين نفعل ذلك بأنفسنا حين نختار من لا يرقى إلى مستوى عضوية مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر، حتى لو كان كاتبا عظيما وشهيرا.

لماذا.. هذا؟؟

واحد من زملائنا أعضاء اتحاد الكتاب، (وأعتقد أنه ليس عضوا بمجلس الإدارة الحالى والذى يطل نصفه الآن على آخر لحظات وجوده، أو هكذا نرجو نتمنى) نشر رسالة فى جريدة مستقلة يطالب فيها- ضمن مقترحاته المأمول تنفيذها- أن تتخذ الإجراءات لانضمام عضوين من أعضاء الاتحاد، أو رئيس الاتحاد، إلى مجلس الشعب (وذلك حتى يظهر رأى الكتاب واضحا أمام السياسيين فى اتخاذ القرار).

وهو ما يعنى مباشرة الإقرار بانتهاء دور الكتابة والكاتب ، والذى مهنته، وواجبه، وشرفه، وقيمته، أن يكتب رأيه على ورق ناصع يتم قراءته بصوت مسموع، ثم إن هذا يعنى الإفصاح عن أن المسافة أصبحت واسعة بين أعضاء مجلس الشعب، وبين الآراء المنشورة، بغض النظر عما تسفر عنه الأمور بين حين وآخر عن أعضاء بمجلس

الشعب لا يقرأون الجريدة لأنهم لا يفكُّون الخط أصلا ثم أن هذا الاقتراح يعنى أن نجعل عضو اتحاد الكتاب يدخل فى دائرة تضخم جديدة- بعض أعضاء مجلس الإدارة الحالى بالذات، والذين فقدوا القدرة على التوصيل والتواصل، هل أنشر لكم رسالة عمنا الأستاذ الجليل: مراد صبحى متى - المعتكف شيخوخة فى دمنهور، والتى تحمل حزنا غامرا بسبب انقطاع أو إهمال أو تأخر إرسال مبلغ المعاش إليه، مع ضحالة وتفاهة المبلغ، مع أن نفس مجلس الإدارة الحالى لم يتأخر عن الاهتمام الشديد بإقامة احتفالية تكريم على اضواء الجاتوهات والابتسامات لأن واحدا من أعضاء الإدارة ذا المنصب فى مجلس الإدارة حصل على جائزة باهتة؟ فكيف بالله سيكون الحال حينما يصبح واحد من زملائنا الكرام عضوا بمجلس الشعب: حتى يظهر رأى الكتاب واضحا أمام السياسيين فى اتخاذ القرار؟ ولماذا لا نتوسع قليلا فيصبح لنا عضو فى المجلس الأعلى للصحافة ثم فى مجلس محافظتى القاهرة والجيزة- حيث إن المحافظات الأخرى تخلو من كثافة الشعب الكاتب، ثم فى مجلس تحديد الأسعار، وفى مجلس جامعة الدول العربية، ثم فى مجلس الأمن، وفى مجلس إدارة التليفونات، وفى مجالس الوجاهة والأناقة، وفى مكاتب المرور والنقل وجوازات السفر ثم فى مجلس القوات المسلحة بعد ذلك؟؟

لماذا يأتى هذا المطلب الذى يقلب الآية: أن يتحرك اتحاد الكتاب نحو المؤسسات بدلا من طبيعة الأمور التى تجعل من الكاتب قيمة عليا تتحرك نحوها- وإليها- كل المؤسسات بالإنصات والاهتمام

والمتابعة ثم احترام ما يصدر منه- أو من المؤسسة التى ينتمى إليها من آراء؟؟

لماذا؟؟ لماذا نفكر بهذا الشكل الكئيب الخالى من الإدراك والإشراق والمرح؟؟ ولكنه يناسبنا جميعا الآن.

١٩٩٩/٣/٢١

أيام.. غير عاطفية

دون رحمة، دفعنى صلاح المعداوى لأسقط فى بئر الفردوس القديم الواسع الجميل، هناك على شاطئ النهر الهادئ المنساب بين الجيزة والروضة والمنيل وقصر النيل وحديقة الأندلس، أيام أن كنا نتهادى متسامرين على وقع قزقزة اللب، وأول مرة نحب يا قلبى ودخان السيجارة الهليود ومأساة صلاح وسميحة فى ظلال – الوسادة الخالية – كانت مشكلتى الأساسية أيامها أننى لم أكن قد أرحت دماغى على أية وسادة على الإطلاق ، وكانت متعة الفردوس الكبرى أن تتلمس أصابعنا كتب سور الأزبكية –أو كتب ذلك البائع المغامر الذى أنشأ سورا صغيرا مماثلا فى ظلال مسجد المنيل من ناحية الروضة، خلال هذا الفقر البهيج كنا بالغى الحفاوة بالشجار والهدوء والحب والوطن ومحاولة دخول المسرح القومى «هل تذكرون المسرح القومى» وهى تلك المرحلة من العمر التى تسندنا حتى الآن كى نواجه ما يحدث فينا الآن، والتى أشعل أوراها صلاح المعداوى

فى كتابه «أيام غير عاطفية» ليضع الحاضر- فى كثير من وقائع الكتاب تحت سطوة ذكرى رومانسية نتحرك فى نفس المواقع التى احتفلت بها جوانحنا فى ذلك العصر، إن من يسير على شاطئ النيل (شارع البحر الأعظم) سوف يرتعب حقا وسوف يخدش سلامه وأمنه ومعتقداته هذا القبح وهذا التشوه وهذه الجهامة الصارخة البائسة، حتى لو ترك الكاتب الحيز الجغرافى أو المساحة التى عشنا فيها فإنه يظل أسيرا لها وهو يتحرك داخل برامج التليفزيون وبلطجة الاعلام ومهرجانات الثقافة واستهبال السلوك الصحفى ومأساة المسافر خانة، وما إلى ذلك من صور ووقائع تتراقص دميمة فى هذا الزمن الردىء فى أحوال الفرد والأسرة ومعاهد التعليم والرقص الشرقى وعوامل ابتزاز المسئولين فى الأجهزة العليا والدنيا، إنه يخترق ويحترق ويعلن ويصف العديد مما يرهقنا ويزهق الجمال فى أرواحنا فى هذه الأيام الحارة المريرة غير العاطفية.

وهذا الانتقاد المرير إنما يدفعنا دفعا كى نحاول أن نستعيد الجمال المنسحب من بين عيوننا والهدوء المدمر بضجيج الحداثة فى الموسيقى والرقص فى مجال حواسنا وثقافتنا وخيالاتنا- لحساب الأمل فى مستقبل- نأمل- أن يكون أفضل من اليوم، ومن الأمس أيضا، من أجل أولادنا الذين هم جزء من كارثة حاضرنا- الجملة الأخيرة من عندى.

١٩٩٩/٧/١١

الولع الفرنسى؛
من باب التصويب

اثباتا للولع الفرنسى بمصر: كتب روبير سوليه كتابه الذى ترجمه لطيف فرج إلى العربية وصدر منذ أيام ليضاف إلى الجهود التى بذلت فى الأعوام الأخيرة لتغليب روح الكشف والاكتشاف والحب والولع والوله والوجد على المعنى العسكرى- بمفهومه الجامح المحطم القاتل السفاك وشديد الدموية- للحملة الفرنسية على مصر لتصبح الغايات العلمية هى الأعلى، والنتائج المنيرة- والمؤثرة فى نواح مصرية كثيرة هى المبتغى وهى الهدف.

سوف نراعى ذلك ونعلن ابتهاجنا- ومتعتنا القصوى- بقراءة هذا الكتاب مستعدين أن نغمض عيوننا عن المقدمات والأسباب، وعما حدث أيضا من خلال هذه الحملة العسكرية سنوات احتلالها لبلادنا إزاء ما شاع بين السطور من تيارات الحب الدافق ، والرغبة السامية التى أدفأت جوانحنا- حتى لو كان هذا التعبير غير مناسب الآن فى خلال شهر أغسطس الفظيع حرارة واختناقا، إلا أنى تمنيت من المترجم

لطيف فرج لو أنه اهتم بالتدقيق فى ما ورد بالملحق من أخطاء صغيرة نعذر المؤلف الفرنسى- دون المترجم المصرى- عليها.

فصديقنا البساطى اسمه محمد وليس أحمد، وجريدة «أخبار الأدب» ليست ملحقا أدبيا إنما هى مطبوعة مستقلة تصدر بشخصية معنوية ذاتية دون ارتباط بأية إصدارات أخرى، كما أن ثمة اضطرابا واضحا فى الخلط بين أفكار روايتى جمال الغيطانى «الزينى بركات» «وحارة الزعفرانى» ،وتوفيق الحكيم لم يكن قاضيا ذات يوم بل كان وكيل نيابة والأمر مختلف بالطبع، كما أن ورود تعبير «تتسم أعماله بالانقلاع عن الجذور» عن يحيى حقى ليس صحيحا - بل ومعكوس ورواية محمد كامل حسين الشهيرة والوحيدة عنوانها العربى قرية ظالمة وليس المدينة الباغية، وما جاء عن طه حسين بأنه كان أعمى أمر يدعو إلى مراعاة اللباقة فى الصفة: كان ضريرا لما يتسم به وصف الأعمى من ردود أفعال غير مريحة فى نفوسنا، ولم يكن يوسف إدريس طبيبا نفسيا أو كاتبا إخبارياً بالمعنى الذى يفضى إليه الكاتب الإخبارى دون كاتب المقالات، ومجيد طوبيا ليس نجيب طوبيا، وإلى ذلك من هنات- أو أخطاء صغيرة- لا تحتاج إلى جهد كبير فى المراجعة، لكنها- حين وردت- أثارت غبارا كان سهلا التخلص منه، نحن نعرف ذلك، لكن غيرنا قد يرجع إلى ما ورد فى هذا الكتاب الجميل دون تدقيق، وبالذات فيما ورد عن شخصى من أعمال لم أمارسها، لقد مارست ما هو أردأ منها.

١٩٩٩/٨/٢٢

الركون إلى الحائط

رسالة يتمنى صاحبها أن يكون فى موقع المناجزة أو المشاركة أو القدرة الفائقة على إدراك معنى الثقافة، يقول فيها إننى «يقصدنى أنا» أطالب الأدباء أن يهجروا المدن للكتابة عن الريف، وأن يسافروا ليعبرواعن مجتمع وعن أفكاروعن قضايا لن يصلوا إليها ماداموا محبوسين فى المدن، وضرب مثالين لذلك -كى يفحمنى- كنماذج تهدد وتحطم وتدمر ما أنادى به: أبو العلاء المعرى ومصطفى صادق الرافعى، اللذين وصلا إلى قمة التعبير- بشكل لا يضاهى -دون الهجرة والسفر والترحال، كل هذا صياغة مهذبة وراقية لهذه الرسالة بعيدا عما ورد فيها من صياغات غليظة-الحروف -وكأنه يكتب «منافستو» احتجاج على جدار حائط قديم حيث جاءت تعبيرات مستهلكة (وغوغائية) من عينة: كتاب السلطة وتجار الثقافة والتكسب على حساب الوطن، لكنه لم ينته إلى أنشطة أخرى تصلح للتكسب توسيعا لمداركه وأفكاره الغلبانة.

أضيف – فى صبر دون أية سخرية بصاحب الرسالة – اسم المفكر الرائد الفنان العظيم طه حسين، حتى لا تتوقف نماذجه عند حدود شاعرين، واجها ما هو معروف من ظروف ألمت بعيونهما، كما يمكن لنا أن نضع فى الاعتبار الروائى الكبير نجيب محفوظ الذى ظلت حركته محدودة داخل العاصمتين: القاهرة والإسكندرية، وقد بارح مصر مرة واحدة فى حياته، مع أنه لا يخضع للمنطق غير المعلن وراء اختيار صاحب الرسالة– منح الله نجيب محفوظ كامل السلامة ودوام الصحة.

كل هذا استثناء يؤكد الموضوع الأصلى، وهو الركون إلى الجدران فى المدن والقرى على حد سواء، دون اختراق للآفاق الممتدة فى بلادنا دعك الآن من بلاد الآخرين، إن عددا كبيرا من الأعمال الأدبية ينم عن قصور كتابها فى إدراك وفهم خصوصيتنا: فى الجغرافيا والعادات والتراث والأرض، والسماء والمناورة والمداورة والفروسية والصدق والفداء والحلم والغضب والمرح وراء الجبال وظلال المعابد وشجن الشجر وبؤس العيون وضيق الجماجم وخبث الأهداف والقدرةعلى الإنصات للمعنى المصرى الخالص والخاص، لقد داهم النص الأجنبى – النموذج – الجمجمة المبدعة، وجعلت واحدا مثل صاحب هذه الرسالة لا يعرف الفرق بين الحالة الشعرية التى يخدمها هذا الركون إلى الجدران والحالة الروائية التى فى أصل قيامها اختراق لما وراء الجلد والمعانى والقراءات المدرسية الساذجة، ونصحيتى المخصلة له أن يظل واقعا – فى هذه الحفرة، لأنه لا يصلح لأن يكون هيمنجواى أو يوسف إدريس أو خليل قاسم.. هل تعرف عنهم شيئا؟؟

١٩٩٩/١١/٢١

١٩٩٨

ظل هذاالعام– ١٩٩٨– كابسا على أنفاسى رغم الزهو الظاهرى الذى يجعلنا نقاوم اليأس والبؤس واللون الأصفر، حتى الديك الرومى– عنصر الاحتفال الأثير بقدوم عام جديد– أخذ يتراجع حتى أصبح كتكوتا مع أن مثيله كان كتكوتا فتضخم تحت سطوة الحب الجارف كى يكون أعظم ديك فى الوجود هو الديك الذى أطلقت عليه (زهرالفول)– مع أهمية استيلاء الجيران عليه، ولعل أجمل كتاب قرأته هذا العام كان (عصر الجينات والالكترونات) الذى ترجمه الدكتور أحمد مستجير عن والتراندرسون، ولكى تعرفوا مدى استغراقى فى بحور العلوم العقلية– ولا أعرف ماذا تعنى هذه الكلمة الجميلة المنتمية إلى العقل– فإننى أقرأ للمرة الثالثة كتاب الدكتور نصر أبو زيد (مفهوم النص) وهو الكتاب الذى أثار الزوابع ضد صديقنا منذ سنتين أو ثلاث وأدى به للرحيل مع زوجته –إلى هولندا،

فإذا انحرفنا إلى طريقنا المستقيم المزروع بالقصة والقصيدة، فسوف يكون مؤلما أن أعترف بأن هذا العام خلا من نص يشرخ الدماغ، إننى أترك الأمر لنوع من تلقائية التذكر دون الرجوع إلى الأوراق، وفى العادة يطفو على السطح ما يكون جميلا وزاهيا ومؤثرا، لكن الذاكرة هذا العام تجمدت دون أن يطفو شىء، هل توقف المخ عن إثارة أمواج التذكر؟!

هل كان السبب الوقوع فى البئر العربيةالمتخثرة، هو التشاغل بمداهمة الطائرات والصواريخ والقنابل ومشاهد الأطفال والمجاريح على ساحة العراق؟ هل يمكن للذاكرة أن تتحرك وتتفاعل بمعزل عن الإحساس بالكرامة فما بالك بالهوان؟ حينئذ كدت أعترف بأن مؤتمر جامعة أسيوط حول أدب أبناء الجنوب أو مؤتمر ثقافة الإسكندرية عن توفيق الحكيم كانا أفضل المؤتمرات مع أهمية المجاملة، كما أن حريق قصر المسافر خانة ليس خطيرا ومؤثرا فقط إنما هو يشير إلى احتمالات من الصعب الهروب من التفكير فيها لارتباطها بعالم الانهيار، حريق دار الأوبرا أول السبعينيات ترك نفس الأثر ثم لم نلبث أن انشغلنا عنه بالعبور والسلام، والتراث المعمارى المصرى يواجه علامة استفهام لابد من ازاحتها وفى المقابل فإننا لابد أن نشيد بمشروع مكتبة الأسرة- مع أنه فى الدورة الثالثة.

تبقى بعد ذلك تحية من بعيد لخيرى شلبى عن المسلسل التليفزيونى الجميل (الوتد) بعدها تصبح الرغبة فى الانزواء علاجا ضروريا لما يدور فى المخ، وفى الفؤاد أيضا..

١٩٩٩/١/٣

سعادتنا فى بنى سويف

ارتدينا عدة النضال الأدبى، وتوجهنا إلى بنى سويف ، لمناصرة المؤتمر الذى انعقد هناك، ليكون جولة- جديدة- ولها أهميتها فى فتح بطن النقاد تحت شعار (أزمة النقد التطبيقى)، ولا سيما أننى افتقدت زيارة بنى سويف من زمن طويل، كنت- أيامها- ضيفا على أحمد عيسوى -الذى ظل يكافح فى سبيل الوطن، ثم إسماعيل بكر الذى أصبح الآن أمينا لهذا المؤتمر، وبالتالى فقد انفتح القلب لأمور أخرى لا علاقة لها بأزمة النقد التطبيقى، مع أنى ظللت مثابرا كى أشارك - لحد التفاعل- فى الحوارات التى وضح أنها تسعى لرفع بعض النصوص مع تطويعها قسرا لقبول نظريات نقدية: لم تنشأ أصلا كى تحتضن هذه النصوص، ولذا فقد انهمرت فى قاعة ثقافة بنى سويف مصطلحات وأسماء واتجاهات ورؤى بالغة الوجاهة الثقافية: (مع أن ذلك- فى حد ذاته - عنصر من عناصر أزمة النقد التطبيقى المشار إليها)، غير أن عددا من مبدعى المنطقة اهتموا بما

اهتم به شخصيا: التواصل والمرح والنقد والدفء الجميل: شاكر الملط (مع أنه لا يتكلم)، ودرويش السيد، ومحمد مصطفى سليم، ومحمد رشاد الشناوى، وأيمن بكر، كما أنى استمتعت بصحبة ومناوشة، رئيس المؤتمر الدكتور أحمد عتمان، لكن ناجى رشوان– ابن المدرسة الإنجليزية حيث يعمل فى إحدى جامعات انجلترا– ظل بعيدا عن جو المسامرة ليبتسم فى هدوء كما يفعل اللوردات فى كواليس مجالسهم الرسمية، أما المهندس سعيد النجار– محافظ المنطقة– فقد كان بالفعل فى الصورة التى نود دائما أن يكون عليها المحافظون: البساطة والود– دون اصطحاب نخبة رجال الأمن مع بعض سارينات التنبيه المبكر المزوج بضجيج الموتوسيكلات، وهو ما يوازى هذه الابتسامات النادرة التى استقبلنا بها عمال وعاملات المطعم، (أحسن مطعم فى عالم المؤتمرات) حتى ولو كانت الوجوه قد أرهقت، نفس إرهاق النصوص الأدبية المصرية حين تقع تحت ضغط النظريات والمصطلحات الغربية– والغريبة أيضا، نسيت أن أهنئ بنى سويف على بداية تحريك الإبداع كى يلتقى مع الذين يهتمون بإلقاء الضوء المناسب على المزارع التى تثمره، أملا أن يكون المؤتمر القادم خاصا بالنص المتألق الذى يعبر عن المنطقة ذاتها.

لكن أكثر ما أسعدنى صحبة محمد الراوى، ومحمد عبد الرازق، ومحمد قطب، ومديحة ابو زيد، ونبيل عبد الحميد. وآخرين، يصعب رؤيتهم فى غير هذه المؤتمرات، مما جعلنى أنسى عدة الحرب والكفاح والنضال التى ارتديتها لمواجهة أزمة النقد التطبيقى– مع أهمية ابتسامة سائق السيارة الذى صحبنا ذهابا وإيابا– وهو أمر نادر الآن.

١٩٩٩/٤/٤

كوميديا.. فارس خضر

تحت غلاف يقف فيه فارس خضر بين أطلال حوائط قديمة، تكون أشعاره البسيطة الهادئة فى ديوانه الصغير «كوميديا» والتى تحمل مقاطعها الشعرية عناوين تميل إلى الطول الذى قد لا يتوازن مع قصر القصائد مثل: الرابعة صباحا ولا يصل إلى حجرته.. منا خوليا، ثم عشرين سطرا فيها نسبة عالية يتكون السطر فيها من كلمة أو كلمتين، وهى ملاحظة شكلية تصنع قلقا، لكنها لا تحول دون متعة لمس التكوين: سوف تميل أعمدة الإنارة لتنكش شعرى، لمبات النيون سترش، رذاذ البيرة على وجهى، أما الأشجار الوديعة، فسوف تفتح أفواهها الواسعة، وتضحك ، بينما تطل من الشبابيك، عيون مفزوعة، لسيدة بدينة متناسخة، هناك رجال منشورون، بملابسهم الرسمية مبتسمون، ياه، كل هذه البنايات الضخمة توسع لى الطريق، لأعبر، لا قروش تشخلل فى جيبى ولا حبيبة– هذه

قصيدة كاملة يسبقها عنوانها.

ولعل الصور المريرة- وبعضها ساخرة- تكمن وراء لذعة الأسى عند فارس خضر،(بعد أن أزيح جثث أحلامى، من على المخدة المنداة بدموع نيئة، أكتشف بفرحة أنها كانت تشبه (فيروز) وأن رأسى بلا جسد،.. أو صورة هذه الشياطين الصغيرة التى تدغدغ بشغف أنامل قدميك ثم تسند فى استهانة انهيارنا المحتمل، وهذه الآلهة المعصوبة التى تعرف خطيئتى وحدى، وأصابعى التى تتحسس مكامن جنوننا نتوقف قليلا عند رقبتك الناعمة، ثم سوف نلاحظ رغبات فارس خضر فى تجاوز القصيدة الحداثية الجديدة إلى حداثية أخرى، فيقوم بتنظيم بيت من الشعر كل: كلمة فى سطر، والقصيدة كلها بيت واحد:(كل هذه التعاسة سوف تحملينها بمفردك) ربما من باب التأكيد على إيقاع مفتت إلى إيقاعات صغيرة مع أن هذا التمادى فى التشكيل المتناثر قد يؤثر بالشكل منتجا سخرية، أكثر من إنتاجه توافقا معنا، ليس لأننا جميع أفراد الشعراء لم تستقر بعد لتصبح قابلة للخروج عليها.

أما أجمل ما فى مجموعة كوميديا وصولها السهل إلى الإدراك- وإلى الإحساس دون التخلى عن الجماليات (وكلها مستحدثة) بما فيها من صور بليغة ذات شجن وذات سخرية كما أن التصورات واسعة تتعدى مساحة المدينة (التى وقع تحت سنابك صورها كثيرون) حتى تتلاحم بالصور الأسطورية المتسامية، والأثيرةلدينا، وإن كنت أرغب فى تحذير صغير ألا تستدرجه الألفاظ العادية إلى الوقوع فى ألفاظ نابية يأباها الذوق، وبدأ كثيرون من ثوار التعبير

فى استخدامها غير المريح، لتصبح مثل نقطةالحبر الأزرق التى تفسد كوب الماء الصافى والرائق، فارس خضر يدرك ذلك، ولذا فإنه يقف وحيدا- رفيعا- بين أطلال مدينة قديمة، ليته يقف فوقها.

١٩٩٩/٢/٢٨

ارتحالات نعمات

عملتها نعمات البحيرى، وضربت بذراعها آفاق الكتابة دوائر شاعرية خالصة تحت عنوان قصص، دون أن تأبه بكل النظريات والتقسيمات التى ملأت فصول المدارس ومدرجات الكليات وكتب الأساتذة والنقاد، (ارتحالات اللؤلؤ)، احساس دامغ بالوحدة، والقلق، وكائنات القطط والزهور، دويبات الجيران والحوائط، وصور الذكريات المهلهلة على المقاطع الموسيقية، وتلامس الجسد بضباب جثة التوتر والوقت، واندفاع دوامات صغيرة إلى مقلةالعالم لتنطفئ الأضواء فى الحدقات، فتافيت الحلو على بسطةالسلم تغرى الأصابع بالارتعاش، اجراءات الدفن تعرى الجسد المجروح وتهتك بالأظافر طبقات التعبير، مصير التفاحةالمتناثرة فى أفق الشجرةخواء ساقطا على الأرض، وهى –الكاتبة– تتكور على نفسها مثل جنين، تماما كما تحب فى أوضاع الحزن والتداخل، حيث لا شىء يفصل بين العدم

والخواء وأعناق البجع، لترثى الرجل ذا الجلباب الواسع، فتريق ذكاءها الجامح غباء يلوك لعاب القطط ويتقافز حزنها بين السراديب الضيقةالتى تفصل بين الإحساس والحوائط، لتظل القصة افتتاح لهب القصيدة، المفعمة بدقائق الفعل المهروس بين الألفاظ والتعبيرات.

ونعمات تصنع من لحنها اعترافا وجدانيا، ترغب فى الآخرين ثم تشعل النار فيهم لتشم رائحةالرغبة دون قدرة على التحقق، هو احساس أنثوى عصرى لجموح الفرد الوحيد إزاء الجماعة الكثيفة، دودةتسعى داخل عمق الشرنقة الحريرية الكابسة على أنفاسها حرية تفكير مصدومة باستحالة الحركة وانعدام الخيال وبؤس التصرف، لؤلؤ يرتحل فيبدو براقا دون أن يدرك أنه لا يزال فى عمق المحار، أى أنه داخل بؤس الانغلاق، كيف يبدو اللؤلؤ ثمينا والأصابع التى تحركه لا تجيد العزف على الوتر، أى حزن يمكن أن يصيب أنثى وحيدة أكثر من تهشيمها القصيدةلحساب النثر، وتعويم النثر تحت إيقاع الإحساس الشعرى؟؟

لقد قرأت الكثير من أدب اللواتى يعبرن عن التمزق العصرى، فما راعنى مثل هذا الذى سجلته نعمات البحيرى، احساس صادق وقدرة فذة على تسجيل الدقائق المتناقضة الدقيقة الناعمة فى اللحظات الساحرة، والصادقةأيضا، إن الكاتبة تكتب نفسها دون شروط سوى معنى الكتابة، لقد ضاقت بها القصةالقصيرة التى أبدعتها فى «العاشقون» من قبل، والرواية التى عزفتها فى «ضلع أعوج» -(لم تنشر بعد) واندفعت إلى عالم الاعتراف الواسع، تحت إلهام اللحظةالمحاصرة فى مدينة فارغة، ومعزولة، داخل المربع المسكون

بالحزن الدقيق الغامر بالوحدة ، حتى ولو كان حولها كثيرون ذوو ضجيج ومواء، وموسيقى، وهواء يبدو- فى كثير من الأحيان- طلقا وطازجا، وصادقا، ومعبرا عن الحركة الضارية المحبوسة حين تخرج على النص القصصى المعهود.

١٩٩٧/١/٢٦

وقت فى العراء..

تأتى أشعار حبيبة محمدى – هذه المرة (فى وقت فى العراء) مختلفة تماما عن (كسور الوجه) والتى سبق لنا منذ – عدة سنوات – أن انتقدناها، طريقة الإخراج المبالغ فى استفزازها للقارئ على وجه الخصوص، لكننا– الأن– سوف نتخلى عن الانتقاد، حيث (يتآكل هذا الدم نقطة نقطة، كأن العروبة نزقى) ولأن (القماش الذى نمسح به غبار اليوم، هو بعض من كفن الأشواق المخنوقة) وتسرى أنغام شجن دافق فى الفؤاد الوحيد فالشاعرة جزائرية– تحمل بين أعطاف الشعر أسى خاصا وحزنا عاما، وهو ما ينساب فى (الشوارع الواسعة التى أحبها ولم تألفنى، خانها قلبى أيضا، بحث عن شرايين أوسع)، (يمتص غرفتى الصمت كأن الريح ليست تحتى)، وتكون النتيجة أن (أتوسد طفولتى كل ليلة لأنام، لكنك تفاجئنى فى الحلم، تمضى إلى مواسم الأنوثة فىَّ فأصحو على رحيق الطفولة الممصوص)، وتترى المشاهد المعذبة الرقيقة والصافية، إنها إيقاعات الاعتصار الإنسانى الجزائرى

العربى الحديث، وهى جملة طويلة لكنها تحتوى – وتمنح– الإشارة الكافية للإدراك الذى يظل وجدا مكتوما– ومنطلقا، «هذا الوقت لم يعد لنا، فتش عند حافة الكلام، ربما وجدتنى»، «طفل أم عجوز، لم يعد الغياب يرسم خريطة للأجساد، بعد أن فقدت هندسةالحياة، عمارتها، كالياسمين، وترتعش الكلمات ، بينما الحدائق يحرقها الصمت)، فى الوقت الذى تظل العبارات تتداخل مع الأنقاس، وتخترق– فى تسلل ناعم شغاف القلب، كأسراب من غيوم القصائد، تلك التى تظلل الإحساس القريب تاركة الآفاق البعيدة نابضة بالألم الواخز، هناك فى الشفق.

ومع متعة أن تنساب فى البحور الصغيرة لحبيبة محمدى، سوف تهتزج اللذة بأشواك ناعمة تكاد تسعى إليها كى تزيدك ألماء فالبيت الذى يتعانق فيه ظلاهما– رأته بالأمس يرفع رأسه لتنسج العناكب أشواقها، إنه الوطن وشجن الإحساس بالعالم القائم، المفعم بالهواء الذى يغازل الأنف لا تعرفه إلا رائحة الغربة، والتى امتزجت بطعم ثمرات من تمر (بلح) جزائرى جاءتنى هدية رقيقة (ثلاثين بلحة لا تزيد لأسرة من سبعة افراد) مهدت بحلاوتها عذوبة الرمز، وهى مصالحة ضرورية دون أن أتخلى عن رأيى فى المجموعة الشعرية الأولى حتى يصلنى البلح الذى يكفى الجمهور الذى هو حولى يدرك أنها منجم مفتوح للسماء: قلبك والمفردات سحابات قد تمطر، قد يحدث مرتين هذا الذى سأقوله، لكن الإصرار يقوله للمرة المليون، لقد ظللت سعيدا بالفعل، سعادة بالغة الحزن.

١٩٩٩/٥/٢٣

أفراخ شوقى

إنها (أفراخ الحمام) التى ارتفعت عنوانا لمجموعةشوقى عبد الحميد الثانية بعد مجموعته القصصية الأولى: الممنوع من السفر، لاحظ قبل أن نواجه المؤلف أنه صديق صدوق لخيرى عبد الجواد صاحب «يومية هروب» وليس بين العملين أى تشابه فى أى عنصر من عناصر الكتابة: الفكرة أو الأسلوب أو الشكل أو: حتى معجم الألفاظ الخاصة، إنما هو الإحساس المشترك بالسطوة والضغوط والرغبة العارمة فى الانفلات فهل لأفراخ الحمام علاقةبذلك؟ الاجابة يسيرة وسهلة، والإجابة بعد القراءة صعبة وعسيرة، حيث يذوب كاتبنا فى السرد المهموم الذى يبدو وكأنه يتوقف عند تفاصيل السلوك العادى والذى يصبح جلدا يخفى تحته أورام المعاناة والغربة والإحساس الغامر بأن أحسن حل ألا يوجد أى حل يأس شخصى نشاركه فيه جميعا، وملل ضاغط يسحب خلفه أرواحنا النقيةالتى لا

تصلح للشر أو المشاكسة أو التآمر أو حتى الانقلاب على الذات: الواقع: وما بين الانفلات المأمول والانقلاب اليائس تتطاير هذه القصص وتعلو إلى آفاق التعبير الهامس المشحون بالشجن، وهو ما يجل الإحساس بالوجود الكائن القائم بالغ البرودة والسلبية (كالغريق الذى يحاول الخروج من الماء مجاهدا يستنشق بعض الهواء ثم يعود ليغوص فيه) حانت منه التفاتة من جديد، إلى من حوله لم يكن يعلم على وجه اليقين –ما الذى حدث بالضبط أو كيف حدث أو ما يمكن أن يحدث)، فالآمال كانت تنمو وتزهو وتترعرع ثم أصبحت مجرد الآمال التى كانت فى عيون كاتب يراقب بقلمه– أفراخ الحمام وهى تكسر جدران البيض والبكارة فى انتظار القادم، دون أن تتقافز النصوص والتعبيرات، إنما هى تتحرك وتمور داخل مقتضيات السرد، وبلا استعراض حداثى تنفثه نصوص أخرى، كما تتقافز عليه أشعار وأغنيات مماثلة غريبة علينا.

و من خلال هذا السرد المنتظم المرصوف الراقى، يبدأ إحساسنا بالتعاطف مع مثل هذه النصوص، التى تمنحنا متعة فى القراءة والإمعان والحزن الشفيف أيضا، لننتظر الأعمال القادمة.

١٩٩٩/٦/٢٠

الميل.. شرقا

هى المجموعة القصصية الجميلة الأولى– لمحمد رفاعى– الذى يعمل فى ثقافة ٦ أكتوبر– والذى يتحلى بأنواع من الصفات الفطرية لم يعد العصر يقبلها، الصدق والبراءة والوقوع السريع فى المَأزق إنه نحن فى بكور دخولنا عالم الإبداع، قبل أن نميل شرقا، أو غربا أو نبحث عن موقع ظليل تحت حوافر الأمنيات الشائكة، وسوف يحدث ألعن من ذلك لكل أذكياء الكتابة، تماما كما حدث فى قصة «فارس» هذا الطفل الذى كان فى المهد يحبو محاولا الانفلات من عتبة الدار لينضم إلى الرفاق، حينما داهمه أبوه العائد من البر الشرقى دون أن يكمل ربع النهار،(كانت الريح فى الخارج قد بدأت تعوى مؤذنة بقدوم الشتاء، فجأة سكنت الريح، وصمتت شخللة أوراق الدوم الجافة وصوت اهتزاز الشجر، ومات لهو الأطفال فى الساحة، قطع صوت أبى الصمت قائلا بأسى الفارس انطفأ بريقه

ورحل وروحه ربما تركض الآن فى الفضاء الواسع). والجملة الأخيرة عالية النبرات بالغة الإنشائية المدرسية، ولو كان لمحمد الرفاعى احتكاك حقيقى بزملاء مبدعين لاستطاع أن يتوقف عن الانجذاب إلى هذا النوع من التعبير الذى يقطع الطريق على الأحاسيس الناعمة –الطفولية– الدقيقة، حتى لو كان الراوى أكبر من كونه طفلا أو صبيا، إذ لابد من المحافظة على روح السرد (الساذج– أو الذى يبدو ساذجا) ليمنح النص قدرات أرقى من الإفصاح الإنشائى الزاعق، مع أن كل قصص الميل شرقا تنبنى على عالمنا القروى فى حالات بدائية أو فطرية، وهو أمر ليس سهلا، ولذا فقد هرب منه كثيرون من أدباء المراحل الأخيرة حيث تقدم لهم المدينة نماذجها السهلة والثرية فى نظر اللاهثين وراء فضاء الجسد– والمقبولة، والمثيرة للوجدان العصرى متوازية مع انهماك أنواع أخرى من الفنون فى تغذية هذا المجال، فيصبح من الضرورى العودة إلى تآكل شطآن الجداول المائية وانبثاق سيقان الخضرة من كالح التراب، وارتعاشة– أو تهدج – أذان الصلاة وصليل أجراس الكنائس والسير على أطراف أصابع التسلل، وأخصاص – جمع خص – الحقول والترحال غيابا– على الأقدام أو داخل حركةالعربات، وتسلق النخيل وافتراش ضوء النهار فى سراديب الجبل وغرق الأصدقاء بين أحراش الحلفاء، وسقائف البيوت التى تفح بالنسيم والحرارةوالنميمةوالهمس، والكد والاستسلام والمقاومة، ودفء أصوات الأجداد، وبؤس الأمنيات، والامتزاج الإنسانى فى الريح والوجل والغموض والانزعاج والتكشير عن الأنياب.

وهو ما أراحنى فى (الميل شرقا) دون أن أخفى أهمية أن ينطلق محمد رفاعى أكثر، فى تلك الآفاق الممتدة، مع الاحتفاء بأهمية أن يبدو كل شىء مفهوما وساذجا وغامضا وغارقا فى وحل الاستفهام ، فى المجموعة القصصية التالية بإذن الله.

١٩٩٩/٧/١٨

الأوز.. والدخان

هذه المرة نجحت البرامج التليفزيونية السطحية فى إعادتنا إلى عمق أجواء القراءة، وهى البرامج التى أثرت تأثيرا واضحا من قبل فى الاستكانة داخل خلوة التوحد مع الآفاق المتسعةللكتب، مع أن عددا من أركان صناعتها ظل ثابتا، معظم المخرجين والكتاب والأصوات ومدربى الرقص، وكان ذلك لصالح زملاء وأبناء ظهرت لهم كتب من قبل، ولم نسمع عنهم ولا عن كتبهم مثل: مصطفى فتحى، الذى أرسل لى من أيام مجموعته الشعرية (مواسم الأوزن – والدخان) والتى تفح بالألم والتمزق والرغبة الدامية فى إعلان السخط والتأفف من كل عناصر الحياة «أشياؤك انتحبت توحدها، فكيف يغاضب النخل اليمام؟».

واحتوى وضع المدائن حين ينفضها الغبار، ويطلع السأم المعرش فوق أوجهها، وتجئ مخطوطا على قمساته الحبلى بأطفال الصنوبر

والحجارة، كم من العمر انقضى: أنت مكتوب عليك تخوض برد العام، والوقت سلحفاة وقدماى لم تعودا تحملانتى، إننى مدرك فجيعتى- ثم لأننى قصصت طائرا ورقيا وأعطيته شكل ملامحى وسطوة تباريحى.

ويندلح هذا الشاعر فى ألمه وداخل تباريح التعبير، ليظل طائرا غاضبا حط فى فسحةالقلب- كما جاء فى قصيدته إلى أمل دنقل، هذا الذى لا يشترى العطر فى موسم سابق للعبير»، (والأكثر شعرية أن يكون- الجنوبى - هذا الذى يشترى العطر فى موسم سابق للعبير) ذلك أننا أبناء صعيد مصر- وأنا لا أميل إلى لفظ الجنوبى بالمرة- نفقد كثيرا من قدرتنا الفطريةحين نقع تحت سطوة اضطراب المدينة، إننى أمزح محاولا الخروج من دوائر الاختناق: أم أنك افترضت الذى لم يقله سواك؟ (الذى حين بحت انبرى فاغرا فاه صوب الحروف؟ أم أنك (انتظرت الردود التى كان ميلادها فى العيون التى حاصرتك؟) لعلك يوما تشق عباءة صمتك فى منام العاقب..!!

ومصطفى فتحى إمكانية شعر قوية وقع فى مربع الغضب المعهود، هو فى حاجة إلى خلخلة الكائن فيه، وتمزيقه، لتنفتح أمامه الآفاق الغامضةالأخرى، والتى لا تزال بكرا، أى تلك التى تصبح خاصة بالشاعر، وهو ما نأمله فى المجموعة الشعرية التالية إن شاء الله حتى لا نعود إلى مأزق برامج التليفزيون.

١٩٩٩/١/١٠

عن مصطفى بيومى

يتمتع مصطفى بيومى - الذى هو من أعلام المنيا - بقدرة فائقةعلى التستيف والترتيب، وهو نفسه مرتب جدا، وقد أثمر ذلك عددا من المؤلفات جديرة بالإثارة، مثلا: أربعة معاجم عن عالم نجيب محفوظ: واحد عن حيواناته، واحد عن بلدانه، واحد عن الأسماء ثم أخرى عن الأعلام- أى الشخصيات الشهيرة من امثال جمال عبد الناصر والإمام الحسين وهتلر وعبده الحامولى وأنور السادات وهنرى فورد وفيثاغورث والجاحظ ومحمد عبده وتوت عنخ أمون..، وعشرات من هؤلاء الذين يردون على ألسنة كثيرين من أبطال نجيب محفوظ المنحرفين المثقفين العارفين القادرين على احتواء مضامين سلوكية معينة مع تصدير الإشارات المناسبة أمثال: على طه وحمدى عاكف ومحجوب عبد الدايم، وأيضا أنيس زكى الهائم فى العالم الواسع غارقا فى بحار هواء الحشيش.

ولم أطلع بعد على المعاجم الثلاثة المشار إليها عن نجيب محفوظ، وبلدان فتحى غانم، ثم هناك معجم عن أعلام أحسان عبد القدوس، وبمجرد أن ينفرط الشكل المعجمى سوف يذهلنا هذا العدد من المؤلفات التى تتجاوز التستيف المعجمى إلى التحليل: صورة الموظف عند نجيب محفوظ ثم الفكاهة عند نجيب محفوظ وفى هذه الأدغال التى تعلن عن انبهار مصطفى بيومى بنجيب محفوظ تظهر إضاءات خافتة لاهتمامات واضحة بغير نجيب محفوظ: صلاح جاهين ويوسف إدريس ويحيى حقى وسعد مكاوى، ولا يخلو الأمر من سبع أو عشر روايات مع عشر مسرحيات- حتى ولو كانت ذات فصل واحد، إن المؤلف شديد الدفق والإغراق ، عالم واسع ورحب وغزير من الكتابة دون الاهتمام بجدوى الكثير منها ، لكننا محتاجون لمثله، ليفتح الباب المعجمى على أدباء آخرين، وما لا يكون له جدوى اليوم يمكن أن يكون له جدوى غدا، ذلك أن الذى يملك القدرة على التنظيم والتستيف بهذا، أبعد مما يراه الآخرون، إننى أزعم ذلك.

١٩٩٨/٥/٣

كائنات
عبد العزيز موافى

يتسكع عبد العزيز موافى على نواصى القصائد، لأن الموت خفيف كاللهب، والمقهى اغتيال خفيف كالبخار، فتنغلق المقاهى على بقايا بشر مازالوا ينطفئون فى الكلمات، شأن الموتى المبتدئين، وأهواء الصدفة تزخرف أوهامه.

الإحساس العارم بالتشتت والوجود العبثى يقيم الخيام فى قلب مجموعة أشعاره، وحين ذهب إلى نخلة ليرى اليمام، لم ير اليمام، رأى شركا بانتظار الطيور)- (ذهب إلى غرائره كى يلقى امرأة، لم يلق امرأة رأى صورة سقطت من جواز سفر)- (٠حين حاولت امرأة ترتيب أبجديتها، رأى قصيدته تتأبط رجلا آخر)، وأعترف بأنى قضيت ليلة عذبة ومعذبة بين كائنات قصائده، ولا سيما وهو يصنع إيقاعاته على دفق موسيقى قائم على القرار والجواب مما أتاح لى يقظة الانتباه التى لم يعد الشعر الحداثى جدا يبالى بها- أو لا يدركها أصلا..

انظر: (يتكاثف الضجر فوق زجاج النافذة، فجأة ينتبه الليل إلى وجوده، فتخطو الحجرة خارج خطط المساء، لكنها: لا تجد فى الظلمة موطئ قدم) واقرأ:(فى ليل لا اسم له، تنهض الذاكرة من خيلائها، فتساوره امرأة شاسعة- كانت تصغره ببضعة أحلام تعرف- أنها أحلام مترامية الأطراف لكنها: لم تعد تتسع لعريها) فأتصاعد مع كائنات أشعاره شديدة الحرارة، وبالغة التفتت تعبيرا عن عصر مزخرف ملون مكتئب متساقط الزهور، أحسست فعلا بنفسى جزءا من هذه الأشعار، هنا فقط تعشش أحلامنا حيث يستطيع كل منا أن يرى أحلام الآخرين دون أن يدخل نومهم.

ولعل الصور الممكنة والطازجة التى ترد فى تعبيراته تساعد على الإنصات، والتواصل، والتفاعل، وهو أمر لم يعد متاحا مع كثير من النتاج الشعرى، مع أن أهميته تتوازى مع أسباب إبداع أية قصيدة، وستظل كائنات عبد العزيز موافى شديدة الانسياب والعذوبة والحزن، والإشباع ايضا.

١٩٩٨/٥/٢٤

هذا الشوك الدامى

لابد من مواجهة هذه البرارى الشوكيةالتى تتمثل فى أخطاء الكتابة والنشر، أقصد الأخطاء اللغوية التى تنتشر فى أصول المطبوعات- قبل الطبع، ثم تتكاثف أكثر حينما يضاف إليها أخطاء الطباعة ذاتها، فى العناوين الأساسية وفى مضمون الموضوع، بل وأحيانا- أو : وكثيرا- ما يتم ارتكاب جريمة الأخطاء فى المانشيتات الضخمة المرفوعة على رأس الصحيفة: «عودة أبطالنا المنتصرون» و«كانت عودة (المنتصرون) ذات اللون الأحمر الغليظ الحروف تحمل صورا رائعة لفريقنا فى كرة القدم بعد جولاته العظيمة التى انتصرنا فيها على المتنافسين(!!!)

وهو أمر يثير المشاعر الثقافية والحضارية ضد هذا النوع من النشر، فى كل أنحاء النشر، وقد لاحظنا جميعا أخطاء واضحة وفادحة فى الترجمة التى تحملها المسلسلات الأجنبية التليفزيونية، وفى إعلانات التليفزيون، وفى التعليقات ذات اللغة الفصحى التى تتم

تلاوتها من المذيعين، وفى معظم الموضوعات الصحفية بالجرائد والمجلات، ثم فى الموضوعات الأدبية والمقالات ذات الدرجة الثقافية العالية، وهناك الأخطاء السافرة ذات الحجم العريض المستفز التى تحملها السطور القليلة للصفحة العريضة والتى تتضمن دعوة للإسهام فى بنك أو شراء فيلا أو قصر أو تهنئة لواحد من ذوى المناصب فى مصر وبعض أفراد الأسر الحاكمة خارج بلادنا، ثم هناك الأخطاء الفادحة فى عناوين ومضمون الكتب الأدبية من نقد وقصص، وهى تلقى عادة فى وجه المؤلف دون مراعاة لكوادر المراجعين والمصححين بين التجارب الطباعية المتوالية، وقد لاحظت أن تصحيح التجارب تنتهى عند تصحيح التجارب دون أن يراعى مسئول الطباعة تنفيذها، بل والأكثر مرارة أن يضيف مسئول الطباعةأخطاءه الخاصة فى أثناء الجمع –بالكومبيوتر أو بأية وسيلة– إلى أخطاء الكاتب– حتى أن واحدا من كتبى الأخيرةسبب لى عارا كلما تناقشت مع زملاء فى بعض ما جاء فيه، إنه أمر محرج للغاية أن يصيب مطبوعاتنا هذا الوباء، مع أن أولادنا الذين يعملون فى دور النشر خارج بلادنا لا يسمحون لكلمة خاطئة واحدة أن تتسلل إلى ما يصدر هناك من مطبوعات، لكننا– فى بلادنا– نستنيم إلى هذا التكاسل المروع الذى ينتج ما يسبب لنا إهانات متوالية تعلو على أى عار آخر.

١٩٩٨/٩/٢٠

نـــورا

نحن الجيل الذى وقع فى غرام نورا، من أول أغنية فريد الأطرش (والذى لا أنتمى إلى المغرمين به)، ومرورا على نورا التى هى تدليل مستولد من اسم الملكةالسابقة ناريمان، ثم انتهاء بعدد وفير من عيالنا وعيال الجيران حملوا نورا فى أسمائهم وألقابهم، حتى أصبحوا عمالا ومدرسين وجنودا ولصوصا وقطاع طرق ، ثم فوق كل ذلك هناك قصائد نورا التى أنجزها الشاعر محمد سليمان تتويجا لإحساسه المروع بالأنثى التى تختزل عالم الجمال والتيه والضلال والضعة والتهاوى والكبرياء.. والحزن المترقرق فى جوانح الطرق لينتهى الأمر بنا إلى نورا بنت أمين، المبدعة الهادئة ذات القميص الوردى الفارغ، والساحرة الرقيقة، والمترجمةلكتاب روجيه جارودى «موجز تاريخ الاتحاد السوفييتى».

وأجمل ما فى (قميص وردى فارغ) أنه سرد هادئ السريرة فى ظاهره، يهتم بالجزئيات اليومية المتساقطة فى حياتنا، والمتداخلة مع

أمنياتنا ومشاعرنا، تتلمس حدود دورة الحياة تخضعها لنفسها(بهذه البساطة تجئ إلينا- ونحن جالستان أنا والكتابة على مائدتنا، نعتذر أنك تأخرت كثيرا عن الموعد الذى لم نعلنه أبدا، وتسألنى ألا أكرهك بسب هذا التأخير أطمئنك وأنا على حافز البكاء من المفاجأة الجميلة، تلك التى ستطيل من عمر كتابتى وتجعلها تنتشى، فأنت فى القارب نفسه معى رغم كل شىء، وليس علينا الآن إلا أن نصارع الأمواج أو نروضها حتى نبحر فى سعادة ،وأولها أن نبطل تحايل الواقع علينا).. وهذا يعنى أن الظاهر الهادئ المرتب منفعل ومتفاعل فى حقيقة أمره لحد الاضطراب فى الداخل القلق بعودة الوجدان إلى عصرنا الماضى أيام هيامنا بالفرنسية فرانسواز ساجان، وواضح أن نورا أمين أغرقت فى حبها للثقافة الفرنسية وإبداعاتها، ولقد أسعدنى بالفعل أن تتسلل إلى داخلى تلك الرومانسية الشريرة أو ذات الأنانية -التى كان أبطال فرانسواز ساجان يعالجون بها الأمور، ذلك أن ماحدث بعد ذلك للكتابة - الأنثوية «المصرية بالذات» جعلها صراخا ومواقف وبطولات واحتجاجا ورفضا، مما حال بيننا وبين مصادقة كثير من النصوص الأنثوية التى اشتهرت فى الأحقاب الأخيرة ، كتابة نورا أمين تعيد إلينا العزف الهادئ المفقود، المنساب الرقراق المفعم بالشجن.

وأود مخلصا أن أقرأ جميع كتابات نورا أمين الإبداعية حتى تلتئم ذكرياتنا القديمة مع نورا، والتى يحمل اسمها عدد مهول من الذين عشقوا نورا، بالقرب أو البعد، أو الشعر أيضا.

١٩٩٨/٩/٢٧

وقائع استشهاد سمير ندا

عندما ولجت معمعة الأدب- أواخر ١٩٦٩- كان سمير ندا قائما، له ظلال واضحة وله أصابع تعزف على سطح التعبير لكنه- كان من القلائل النادرين الذين بلا أحزاب ومؤسسات تحميهم وتصونهم وتشرح نصوصهم، وتنبئ عما يخفيه النص من كنوز، وتشير إلى ما يعنيه بتقطيع الجمل أو تجميل المقاطع، كل القبائل صنعت أدباءها ورفعت ألويتهم فظل مثل سمير ندا كاتبا يتيما، أى بلا قبيلة، لكننا، نحن الوافدين من بين الهضاب والأكواخ والمراعى قرأنا سمير ندا، وتحدثنا عنه، وتمنينا لو نلتقى به ، ولعل أول ما وقع فى أيدينا ترجمته لواحدة من أهم مسرحيات العبث وكانت- فيما أعتقد لصمويل بيكيت: لعبة النهاية، ثم مجموعة قصص قصيرة ربما تكون: والله زمان أو الشروق من الغرب، ثم توالت أعمالهم دون حاجز أو دون تبشير من الحواريين الذين دأبوا على إحداث أكبر ضجيج، المشكلة - أن الفواصل الزمنية بين إنتاج وآخر كانت طويلة، لكن ذلك

لم يعد مشكلة، إنما هو سمة للذين يكتبون الفن الجيد والذين لا يتجاوبون بسرعة مع أية أفكار (اسهال التأليف) وهذه الفواصل الزمنية الطويلة هى فى صفه ولصالحه.

وتتمتع كتابات سمير ندا بتلقائية مدهشة وذات جماليات لغوية نابعة من حساسية الموقف، والذى فى معظمه- بشع بالسخرية المرة (وهى التى يدعوها أساتذة الأدب- فى المسرح بالذات- المسخرة).

والتى وصلت إلى ذروتها فى آخر أعماله التى بين أيدينا: وقائع استشهاد إسماعيل النوحى، حيث يستشرف بها أشكال تراث الكتابة منذ كانت أسلوبا للنبوءة، وحتى أصبحت اعترافا دينيا يدعو للتطهر، ثم انتهت- أيام العصر الحاضر- إلى تألق لغوى مفعم بالشجن والإشارات: فاتحة الأسفار ، وسفر الزمن الأخضر، ثم سفر آخر لآخر أيام الزمن الأخضر، فالزمن الحرام ، وحلم الميلاد، مع أهميةالايضاح ليصمم أن المؤلف شاهد على كل شىء، متعة قصوى صحبنى فيها سمير ندا داخل هذا العمل الجميل الملئ بالقلق والأحاسيس والرؤى، وقدرة إسماعيل النوحى على اختراق جوانحنا والتبلور فى عمق الشفاف، مع أهمية تحريك العقل إشاريا إلى الكوارث القائمة والصادقة..

لقد كنت- شخصيا- فى حاجة لقراءة مثل هذا العمل المؤثر، وهذا الكاتب الجميل بالذات.

١٩٩٧/٧/١٢

قليل من التمرد

ساعات فى الغردقة بالبحر الأحمر، استمتعت فيها بهذه اللحظات الناعمة النادرة التى تبخل العاصمةعلينا بها: القمر يتسلل فى الأفق الشرقى ليحتل مساحة الجمال الرمادى الحزين الوديع خلف آخر أشعة جبلية للشمس، ثم كانت المناقشات التى تفاعلت فيها الجوانح مع أصدقاء نادرا مانلتقى بهم: جمال بدوى (وله مجموعة شعرية زهرة الخريف) والمخرج سمير الخليلى، والصديق القديم مسئول ثقافة المنطقة الأول صابر بخيت (ولا يزال دمثا قليل الكلام) ثم سعيد رفيع وهو رفيع فعلا على أى معنى من المعانى، وقد رافقنى فى خلال هذه الساعات، وله مجموعة قصصية جميلة بعنوان (نزوة تمرد).

وهذه المجموعة- نزوة تمرد- تنفتح ساخرة على العالم العصرى المرير الذى نعيشه، وتصنع جوا أليفا يخلو من القسوة ويأنس إلى كل ما هو عادى ليكشف عما يمكن أن يثير الشجن المبتسم، فالواقع حقل تنبت فيه أنواع من الأشواك المزهرة مع هذا الحب الوارف لكثيرين من

أبطال الخالة فضة التى تبيع المناديل وزجاجات العطر، التى تعمل- بين وقت وآخر- قابلة (داية) أى مولدة، ولد على يديها كل أطفال وشباب القرية، وطبيبة أطفال حاذقة، تعالج الكسور والكدمات بالوصفة السحرية الموروثة والمصنوعة من الدقيق وزلال البيض، وبالطبع- وكما هو معروف داخل القصة وخارجها- فإن الخالة فضة تعمل- أيضا- خاطبة، وطاردة للنكد (ترتاد أحواش المنازل، وتنحنى إلى الأرض لترسم بسبابتها تمساحا على الرمال) الخالة فضة كسدت تجارتها تحت وطأة التحديث ومداهمة التطور لها (أعمدة الكهرباء- ودكاكين البضائع وعلى مشارفها مستشفى كبير ملىء بالاطباء والممرضات) مما هيمن على حركة الخالة فضة، لتتخفف من عناء حمل أثقال صرة المناديل وزجاجات العطر، لتسير فى الشوارع أكثر اعتدالا، لتفتح لها الأبواب ساحتها لتخطب البنات وتحرق التماسيح إقرارا بأن التقدم مؤثر فى الاحتياجات، ويحتاج إلى وقت أكبر ليؤثر فى العادات، حيث ظل الاختلاط- المؤثر فى عملية التعارف- محظورا.

وعلى هذه الكيفية يبنى سعيد رفيع عالم كتابته، والتى تنأى بعيدا عن تيارات الغموض والاستعصاء على الفهم، وهو ما يفتح له الآفاق الجديدة فى كتابة جديدة يخترق بها عالما أكثر رحابة، ويجعلنى أدير رأسه نحو هذه اللحظات الفريدة التى تنسل فيها الشمس لتغيب وراء الجبال لتترك الساحة لهذا القمر الجميل المتسلل من البحر، مع قليل من تمرد الريح والصخور والكتابة.

١٩٩٨/١٢/١٣

الحزين.. عبد الناصر علام

أمثال عبد الناصر علام- وهم قلائل- يكتبون محترقين، تعبيرا عما يحرق الفؤاد، لا يراوغون ولا يتقافزون ولا يصنعون الضجيج المناسب لطموحهم دون إبداعهم، وقصائده المريرة فى مجموعته العامية «انزفنى» تخترق المشاعر بتعبيراتها المدببةذات الوخز المؤلم: (النيل مساحة للعطش والجوع، أنا باكشف الوجه الصبوح على طاولة المقهى - شاركت طوب الأرض فى حروفك وماحد أنصفنى .. نظرة عيون الخلق تصرفنى فى الشارع المحفور) وعندما يجذبه الواقع أكثر يتعلق برقبة الحلم القديم حينما كان جده «العكيس» أى المثير للمشاكسة بعكاسته (يخلى العيل يتصارع ويا الجمل الهائج ويخليه يسجد له) ثم إن جده (كان بيحارب فى العفاريت - كان عاقل ومصاحب كل جنون الأرض) وهو ما يؤدى إلى لحن النحيب الباكى المتشح بالمحفور فى القلب من تراث الندب الجنائزى عندنا (يا بنت دكانك واقف على رفرفه، وقماشه باظ واتخلط قطنه مع صوفه)، وربما لا يكون عبد الناصر علام

مدركا لهذا الاستبطان الذى يضبط حزن الإيقاع مع الرؤى المتعددة- والمعاصرة، (القبرمستنى الجواب، البوسطجى لسه ماجاش)، (خللى الابل تطوى الصحارى وهللى، الحنضل الصبار خلى سعرك غلى)، (فتح يا ورد وقابل المطرة، بردان ولسه هدومى حرانه، أرجع جبان أبقى، واللاف خبر كانا) ولذا فقد شاع الشجن فى مقاطع هذا الشعر بشكل يربطه بما عانيناه نحن أبناء الريف تحت سطوة الواقع المرير، هذا الذى ألقى بكثير من الأمنيات تحت سنابك مختلف الأقدام، (هزيت النخل مانزلش التمر ورميت على كفنى الغلة ماحاش الطير وبعت صباح الخير للشمس)، وكل القصائد تتشح بغلالة الحزن الغامر (مستنى الكسوةالوهاجة وأنا برة العيد)، فى حرارة صادقة لا تبتعد عن الهموم الشخصية لنا جميعا.

من المفروض ألا نخرج- بالأمنيات بعيدا عن النصوص التى شملتها مجموعة (انزفنى) غير أنى أرى أن القلب الصبيانى لهذا الشاعر يستطيع إن عزم وصمم - أن يفرز عالما آخر أكبر من هذه القصائد وقد يكون المسرحية أو الحكاية الشعبية ذات المستويات المتعددة ولاسيما أن لديه رغبة أن يصنع تعليقا داخل النص، والذى تعددت- بسببه- المقاطع الاعتراضية، وهو ما يشبع تلك الرغبات التى نميل إليها نحن أبناء الريف والتى تحس بها فى استدراكات الراوى فى الموروث من حكاياتنا القديمة، دون أن نفرط فى متعتنا الحالية فيما بين أيدينا من أشعار الولد الحزين عبد الناصر علام..

١٩٩٨/١٢/٦

ملكوت مؤمن

بمجرد أن يطرح مؤمن أحمد تساؤله المسفوح بين أقدام مجموعته الشعرية (ملكوت الماء)، حتى ينتابنا وجع علامات الاستفهام، ومحصلةالقوى الصوفيةالناجمةعن ضياع إجابات الاستفسار السرمدى، (ما الذى ينمو، نخيل.. أم سؤال مفجع؟ لغة تقيم الروح.. أم فقد يطيح بما تبقى)، وتكون الإجابات ذات المستويات المتعددة (كيف إذن ستشرق وردة للحلم، فيما يستطيل لغيرنا شجر المالك) (لغة تميد بساكنيها، أم رماح تستطيل، وجثة تطفو؟) كل أوراقى مبعثرة .. أقيم جنازتى وحدى)، (والوطن الهلام يفر من معنى إلى معنى.. إلى دوامة فى الروح لا تعلو) و(هل يبدو لعينى ما أرى فى البعد، أم عينى تقاذفها سعار الوجد) (ولا عين تعسعس فى الفتوق، ولا يد تسعى لقبض الضوء)، (لماذا نفسد الضياء بالورق، وحينماترى دماؤنا الهواء نحترق، ونقتل الجموح بالكتابة)، وبينما تشتد علامات وأدوات الاستفهام أوالاستفسار أو القلق، أوعدم الارتياح، أو خفوت الاطمئنان، تظل الإجابات (الجوابات

بالمعنى الموسيقى) قرارات جديدة وأسئلة أخرى، فعلامات الاستفهام- المدرسية تفقد كثيرا من وجودها فى شعر مؤمن أحمد دون أن تفقد تأثيرها وقيام الجدل تحت ظل شعرها لأن الوجود الكائن - كما يبدو - لاتفسره الأسئلة بعلاماتها، إنما قد توحى بمرارته خلو الجواب من الإجابة، حيث ينداح الشعر متفاعلا مع الجوانح- تلك التى تظل تمور دون أن تقف لمساءلتى عصافير البلاد لأن البحرلن يبقى طويلا تحت جرحى وباستبعاد تلك السطور المصطنعة فى الغلاف الخلفى والتى تخلو من الذكاء لأنها تعوق الرؤية، والرؤيا والتى من المفروض أنها تتيح للقارئ براحا أوسع لإدراك مثل هذا الشعر الجميل دون التصميم على أنها كتابة متكؤها الصدق الذى يتحرك من خلال اللغة وباللغة حاملا الرؤيا التى تنطلق من الهم الشخصى إلى العام حيث تتمثل القيمة فى(الموقف) الذى ينحاز للإنسان العام ويلتصق بالجغرافيا وخصوصياتها.. فهذا الذى يلتصق بالجغرافيا وخصوصياتها) إنما هو كلام عيال يبحثون عن مقاطع وبيانات تبدو مثقفة، تتساوى مع هذا الإحساس العائلى الذى يترك الشعر هدية -على الباب- لتحية، وهبة، ومريم مؤمن ، مع إضافة عبد المنعم تليمة، قبل أن نفتح الوجدان لاستقبال الإبداع بعيدا عن الإنجاب والإحساس بفضل الآخرين.

اخلع نفسك يا مؤمن من كل هذا وأنطلق محلقا فى ملكوت الشعر الجميل، فالآفاق تحبك طائرا خالصا يسعى لارتكاب أكبر كمية من القرارات التى تزيح أمامها ضباب الجوابات فى عالم متناغم من الحيرة، ومن الموسيقى أيضا .

١٩٩٨/٣/١

البطران نجما للرواية

أصبح الزميل حمدى البطران نجما روائيا فى غمضة عين، حتى أنه احتل موقعا متميزاً فى نشرات الأخبار الأجنبية، سمعت الخبر بنفسى إلى إذاعة لندن، مقرونا بتقرير عن مطاردة السلطة للأدباء والمفكرين ومحاصرة الإبداع المتميز الحر المناقض للأفكار السائدة

إنها الهدية المتوقعةالتى أهداها وزير الداخلية اللواء العادلى لحمدى البطران،

حينما أحاله إلى مجلس تأديب متهما بما يسبب الحرج لأى لجنة عصرية تمارس هذا الاتهام، فقد صممت اللجنة الأولى على إسقاط الخيال من النص الأدبى وظلت قابعة فى ركن التقرير، كما اتهمته بأنه لم يكن فى أى وقت مأمورا- تزوير واضح، مع أننا نحن الأدباء، نتخيل انفسنا فى الدرجة والمنصب والزاوية والدور الذى حتاجةالنص الأدبى لحظةابداعه فماذا تفعل هذه اللجنة -مثلا -

عندما تقرأ (قيام وانهيار آل مستجاب) دون أن يكون لمستجاب هذا– وقبيلته– أى دور ملكى أو شعبى بالمرة، وماذا تفعل اللجنة حينما يأتى اسم الثالث من آل مستجاب وقد هيمن على الريح والصراصير والكلاب والناس والغيوم والمياه والزلازل والثلوج والغزلان؟ ثم بعد ذلك يتضح للجنة أنه لم يكن فى قائمة الملوك والأمراء، والحكام من كان له هذا الاسم، وأى اتهام سوف توجهه اللجنة لمؤلف مثلى؟؟ تزييف التاريخ وإعطاء بيانات مغلوطة وإشاعة البلبلة، وعدم المحافظة على أسرار البيت المالك من آل مستجاب، وبالتالى فسوف تردد الإذاعات اسمى لأسباب لا علاقة لها بقوتى الأدبية، وسوف تتجمع كل أنشطة المحافظة على حقوق الإنسان كى ترعى مصالحى والدفاع عنى، وتكون مثل هذه اللجنة قد أدت للأديب مالم يمنحه له الأدب، لأن الأدب خيال جامح قوى قد لا يدركه القادرون على المؤاخذة والمحاكاة والمحاصرة، فهنيئا لك ياحمدى ولقبه البطران– بهذا المجد الذى سوف يجعلك أسطورة فى تاريخ الأدباء، وسوف يمعن كل المفكرين فى هذه اللجنة التى اعتقدت أنها تحاكم الخيال الكاذب دون أن تعترف بأنه خيال أدبى وسوف تتم ترجمة روايتك– موضع الاتهام – مذكرات ضابط فى قرية مصرية، وسوف تكون مقدمات الترجمة– فى كل بلد حافلة– بما سوف تتخذه ضدك السلطات من إجراءات حصار وتعذيب وتهديد وتأديب، بعدها يصبح مناسبا لك أن تصبح درسا فى كل مدارس الصباح، وبعد ذلك يكون السؤال فى الامتحان:

ماذا تعرف عن الكاتب الكبير الشهيد المناضل الأديب حمدى

البطران، (دون أن تظهر رتبتك الوظيفية فى السؤال)..

إنى أحسدك، دمت لوطنك أديبا، ودامت اللجان الذكية والمعاصرة التى تسعى وراء تمزيقك ، فى العام الأخير من القرن العشرين، مع أهمية أن الجميع سيكونون معك..

١٩٩٨/٣/٢٩

ناهـد

تحاول «ناهد السيد» أن تلتف بأشعارها العامية حول الوجود لتصنع قانونها القاطع: الحياة الحب. الموت. الحياة، معتقدة أنها- بهذا الالتفاف- قد فتحت باب الكهف الأبدى الساحر، مع أن ذلك أدى إلى علامة الاستفهام الضخمة التى نعيش جميعا فى ظلها الغامض (ما عمرهاش- حبتّ الأسود ولا الأبيض- وعشان كده احترفت الشطرنج- ويوماتى تلاعب روحها- وتنتقم من كل لون مرة- وخصوصا الطابية والوزير والملك..) لكنها تكون قد أعلنت قبل ذلك حبها للون الأسفلت بعد المطرة، وبعد أن تزحف عيونها على الأرض تحاول أن تتسامى عن الولع بالعيون التى تغرق فى (شبر مية)، بإحساسها المعذب بالوحدة الناجمة عن ابتعاد كل الاشياء- أو كل الأمنيات: (لا النيل سامعهم ولا النجوم- الهمس طالع بالمقاس). حتى لو كانت- داخل قانون الفجيعة- قد قررت أن تزيد من جرعة

الأسى الساخر لتكون قصيدتها المنحوتة عن الانتظار (الموت لما بيختار واحد، بيحوم حواليه أربعين يوم) ثم (بكرة الصبح هتنفّس عتمة جديدة)، لكن ناهد السيد تتفاعل فى أداء شعرى جميل وجديد حيت تحتك بالموروث فى الأساطير والمعتقدات مثل قصيدتها (كاف كانت) عن اندماجها فى حالة مريم العذراء، ومن حقها أن أشير إلى أن هذا النوع من الكتابة نادر لأنه عسير وصعب، حتى لو كانت قد حركت القصيدة على سطح الحكاية الموروثة، وهو الذى يمكن أن يصنع منها- شخصيةأدبية متميزة لو أنها استغرقت فى هذه الحالات عالية التعبير، ولا سيما أن عناصر الخروج على المألوف من الشعر العامى متوافرة لديها، حيث تخترق مجال (الندب والعديد) وهالات السماء وروائح الدفن والانغماس فى التهويم أو السراديب التى تؤدى للاختناق ثم انبثاق الإحساس الوجودى العارم، وبالتالى فتصبح محاولتها أن تكون فيلسوفة ساخرة ذات معنى، حتى يمكن لنا أن نقبل هذا النص القصير جدا (قالوا لى.. موتى بس أنت ، ونعمل لك ديوان، ونسميهولك كمان: موتيات.. ناهد السيد..) ليت ذلك كان عنوان هذه المجموعة بدلا من دورة الحياة الحب. الموت. الحياة. مع أن الحلم يسرى بين أوصال كل القصائد بحثا عن الأمل والذى لا يزال يدفعنا أن نظل تحت ظل أو - لهيب- علامة الاستفهام الضخمة التى لا يبارحنا ضغطها من خلال هذا الحس المرهف، الساخر، والساخن أيضا..

١٩٩٩/٧/٤

وَسَم سيف إبراهيم مبروك

قبل أن يكون مبدعا له تجربته القوية المؤثرة المتميزة ، ظل هذا (الإنسان) دافئ الجوانح حاد الإدراك دافق المشاعر: محمد ابراهيم مبروك، صاحب المجموعة القصصية الفريدة «عطشى لماء البحر»، والتى تتضمن قصته التى اخترقت كيان القص بما فيها من تلاحم صوتى واحترام لغوى «نزف صوت صمت نصف طائر» لتصبح تجربته ذات ضغط بالغ فى التعبير ذى التأثير المعنوى صوتا وتشكيلا خارج المعهود من الجماليات اللغوية الواقعة تحت سطوة الموروث والتى أحدثت ضجيجا موازيا لهذا الذى أحدثه محمد حافظ رجب، فى تمزيق او تحطيم الحدث ذاته، ومثل هذه القضايا نشير إليها قبل أن تمتد عيوننا لتبحر فى هذه الترجمة الراقيةالرائعة التى أنجزها محمد إبراهيم مبروك لقصص اختارها من إبداع أدباء أمريكا اللاتينية: بورخيس ولوجونيس والليندى وورولفو- وآخرين ذات العنوان الخاضع لادراك المترجم فى التعبير اللغوى، «وسم السيف»

ليكون الصدى الصوتى قويا وناعما- ومقصودا وهو ما تتسم به الكيانات اللغوية التعبيرية بعد ذلك أى فى وسائل السرد المختلفة والمتنوعة فى هذه المنتخبات من النصوص القصصية، حيث لا يجوز للقراءة العجلى السريعة أن تقترب منها، أى لابد من الإمعان الهادئ ذى التذوق الخاص أن يكون الوسيلة الأولى والأساسية -عند استقبال هذه الترجمة، والتى تعد فى حد ذاتها- طرحا لمحصلة قوى الإبداع فى أمريكا اللاتينية، وهو الإبداع المعاصر الذى تسلل إلى جوانح قدرات التعبير ومناحيه فى أنحاء عديدة من العالم- لم يكن (تسلل فقط بل الأصح اجتاح)، حتى أن من ظهرت له قدرات إبداعية لها وقعها القوى قبل شيوع التعريف بهذا النوع من الكتابة خارج أمريكا اللاتينية قام المتعصبون من النقاد برده بسرعة إلى التأثر بالأدب الأمريكى اللاتينى.

لكن التحية الواجبة لهذا الجهد المبدع لصديقنا مبروك، لن تستطيع تجاوز ما كتبه الدكتور محمد أبو العطا تقديما للترجمة، كما أنها قد تتراجع كثيرا أمام هذا الدفق الإنسانى الراقى البسيط- الفطرى العاطفى- الذى أحاط به محمد إبراهيم مبروك شريكة حياته بمشاعره (لم نتعود أن نجعل من شريكة الحياة مهيمنة على العواطف بهذا العمق والنقاء، وإن تظاهرنا بذلك) وبطريقة متميزة ومتفردة، تجعل من سطور المدخل عنصرا دافئا كى نسعد- ونرهق جماليا بمتعة لا حدود لها- بهذه المجموعة القصصيةالجميلةالسهلة والواخزة فى ضلوعنا أيضا، حيث نتجول بين تضاريس القصة فى تلك المنطقةمن عالم الإبداع مسلحين بقدرات محمد إبراهيم مبروك الفائقة حتى- لو كان لنا إلمام بهذه المنطقة من قبل.

١٩٩٩/٨/٢٩

ديوك الفيوم

لعلها المدينة الوحيدة التى ما تكاد تصل إليها حتى تنظر بنصف عين إلى العاصمةالخانقة المختنقة، وكنت ولا - أزال- أتصور الفيوم عاصمة لاستوديوهات السينما أو مركزا لإعداد السياسيين، والدبلوماسيين، أو محمية يلجأ إليها المبدعون- فى كافة نواحى الابداع- ليتنسموا روائح البرارى فى أنوف أتلفها القلق والعادم والضجيج والمكائد ونصوص الأدب المتقافزة لا تعرف لها رأسا أو قلبا أو أقداما، وحملتنى سيارة أوتوبيس بالغة الشيخوخة: فى الشكل والحركة والمقاعد والسائق- من الجيزة كى تتهادى مرهقة مثيرة للمرح بين مروج الفيوم فى دائرة واسعة كادت تقنعنى بأن السيارة لا تعرف الطريق إلى العاصمة، ظللت سعيدا كلما ازدادت الدائرة إتساعا ومرورا على القرى والحدائق- مع أهمية التوقف أو التسكع الجميل، كان صديقنا الأليف نجدى إبراهيم- السلطان

نجدى لأن له عملا روائيا متميزا يحتك بهذا العنوان) فى انتظارى وبرفقته أخونا منتصر ثابت ذو الأعمال الأدبية العديدة فى المسرح والقصة،(من يقتل شمشون- ملك وراقصة- بعد أن نام شهريار- وملك فى مملكة النساء) ولو تخلى عن رصانته الشديدة فسوف يفتح الباب لقدرات وتصورات مختنقة فى التعبير، مع أنه- فى اللقاء الذى أعده فى مدينة (طامية) لم يقرأ شيئا من نصوصه، وترك الأمر فى تلك الليلة التى بدأت أول المساء وانتهت- بصعوبة بعد منتصف الليل بساعة ونصف للمخرج المسرحى والشاعر أحمد سعفان ذى الابتسامة الرائعة، وهو ما ساعدنا على الإنصات لقصائد وقصص محسن وطارق وماجد ورمضان السنوسى- إضافة إلى عصام الزهيرى دعك من الأسماء الكاملة فالذاكرة لا تعمل بشكل جيد فى العاصمة حيث أكتب الآن).

وتمنيت لو أن تضاريس الفيوم استطاعت أن تحتل مساحة أكبر، من طقوس وعناصر وسلوك ترصد خصوصية أهل الفيوم وهى العاصمة القديمة الجميلة التى يقع فى فؤادها قصر اللا مبرانت أو التيه أو الاتساع المذهل فى الأفق المتراقص على حافة بحيرة قارون يود أن يغذى النصوص بدم آخر، وروح أخرى، غير تلك التى تعودناها، دون أن نفقد الأمل فى زيارة جديدة لنصوص فيومية لها رقاب طيورها- ودواجنها- وبالذات ديوكها الشهيرة، التى توقظ المروج قبل الفجر- وبعده أيضا.

١٩٩٩/١٠/٢٤

اكسطليس أنس فللوص

جاءت السحب السوداء الضاغطةعلى الأنفاس تتويجا لأسابيع متوالية من الكدر والحزن الغامض والعميق، ظللت أحاور وأداور وأنام وأتشاجر وأجادل وألهو وأحاول التحرك والابتسام أو المعابثة، أو اختراق الفجر من فجوات سخف الليل فيتضح لى أننى مشنوق بحبال النجاة، المفزع أن عددا ممن أعرفهم فى العاصمة وفى الأقاليم ومن المثقفين أو المحسوبين على الحركة الثقافية بالذات- الذين يعانون من الظلم الثقافى- الذين يعتبرون أنفسهم أصحاب حقوق ثقافية استولى عليها من لا علاقة له بالثقافة بالمرة، المفزع والمرعب أن هؤلاء يمتطون قوارب السلوك والأقوال بعيدا عن بحر الثقافة، بعيدا عن مياهها وأمواجها وأعاصيرهاالحقيقية، شديد النقنقة باسم بورخيس ومازكيز وعدد مذهل من أسماء وفدت إلى أجوائنا فى السنوات الأخيرة، دون أن يقرأوا أو يتعرفوا على سعد مكاوى وصبرى موسى وعبد الله الطوخى ومصطفى محمود،(نعم هو نفسه الذى يشرح لنا تطبيق

معجزات الخالق على المخلوقات الآن) ولم يرد على مساحة عقولهم التى تبدو مذهلة الاتساع أى أثر لمحمود دياب وصلاح حافظ وسليمان فياض وأبو المعاطى أبوالنجا وصالح مرسى وعباس خضر ومحمود البدوى وعبد الرحمن الخميسى وفاروق منيب وعبد الحليم عبد الله مع أهمية النقنقة- بين الحين والحين، وبشكل سطحى، بأسماء نجيب محفوظ ويوسف إدريس وصلاح عبد الصبور وفتحى غانم ومحمود حسن إسماعيل ويحيى حقى ويوسف السباعى وعبد الرحمن الشرقاوى تحت وقع السطوة الإعلامية أو المدرسية دون الغوص- أو الاقتراب من أية أعمال لهم، أو أنهم - دون الإفراط فى التشاؤم- يصنعون إيحاء بالمتابعة لأعمال زملاء ورفاق، لهم حضور فى المواقع أو المناصب الثقافية هى ثقافة الأسماء دون الأعمال قمة المعرفة الجوفاء، حتى أنى تمهيدا للاختناق بالسحب السوداء بأيام قليلة كنت أتكلم مع جماعة من الشباب الفائزين بجائزة أدبية عن الرواية الجميلة والراقية: السائرون نياما لسعد مكاوى، فاتضح لى أن الاثنين: الرواية والمؤلف مجهولان تماما لهم، وكان السؤال الإنكارى المرعب: ولو قرأناها ما الذى سوف نستفيده منها..؟؟!!

فعدت من جديد أتمازح معهم - وبشكل جاد جدا عن الكاتب (اكسفليس انس فللوص) الذى قضى معظم حياته فى سجون مملكة كامب سيزار، فاتضح لى أن عددا منهم يعرفه جيدا .

١٩٩٩/١١/١٤

عن محمود حربى

هذه الابتسامة الواسعة، والتى تحتوى سعادة غامرة- أو هكذا تبدو- هى التى يكمن خلفها محمود حربى، إنه التسهيل السريع لما قد يواجهك من علامات استفهام: فى الفندق أو الشارع أو قاعة المؤتمرات، مع أن عمله كان يجب أن يتوقف عند حدود كونه كاتبا صحفيا يحمل أسئلة المحاورة أو السعى خلف الرأى أو الخبر، كما فعل زملاؤه من خلال زيارتنا للكويت احتفالا بمرور أربعين عاما على مجلة (العربى)، لابد أن أرتدى ربطة عنق فى حفل الافتتاح، وهو أمر لم أمارسه منذ مليون عام فإذ- بابتسامته الطفولية- يلف عنقى بربطةبالغة الاحمرار كأنها تقودنى إلى جهنم مما فتح شهيتى للسخرية، هكذا أسرع بتلبية طلبات لم أعلن معظمها فى السجاير واستدعاء الأصدقاء (الذين كانت علاقتى بهم على الورق فقط)، وشرح مالا أعرفه من تضاريس ومعلومات عن الكويت: الناس والثقافة والعادات والاحتمالات ، لم يفعل

ذلك معى وحدى، محمود حربى- هذا الصحفى الوديع والمشاكس أيضا- كان الأقرب دائما لجميع الرفاق، ودون أن يضغط بأية أسئلة صحفية مما تعودنا دائما أن نضيق به، حيث قدم لى آخر الأمر وأنا فى طريقى للسفر مجموعة اسئلته رفق كتابه (على حافة الحلم) والذى يضم حواراته مع شخصيات عربية متعددةمتنوعة النشاط والاتجاهات والأفكار ، ومن كافة البلاد العربية بالطبع، حيث يتلاقون فى كثير من عناصر الاعتزاز العربى القومى، ويتباعدون فى المشارب والأهواء، ولعل أجملها هذا الحوار الممتع مع الدكتور بدر الخليفة -مدير المختبرات الجنائية فى الكويت- والذى تعرض فيه للانجازات العلمية الحديثة فى وسائل تتبع الجناة باستخدام البصمة الوراثية، ومع الدكتور عبد العزيز التويجرى أمين عام المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم وما تناوله من الجدل حول تقريب المذاهب الإسلامية، أو مع الدكتوركمال عبد اللطيف الأستاذ الجامعى من إدراكه لمكر التاريخ بما فيه من صياغات وأفكار تناقض الوقائع والواقع، وما طالب به من إعادة النظر فى كثير من مبادئ الفكر القومى، وما إلى ذلك من نظرات جديدة فى الحركة العربية الحديثة: فكرا وتعليما ومناهج ونقدا وانتقادا ولا سيما ونحن نكاد نغرق فى أمواج السياسة التى تتلاطم من حولنا ويشتد صخبها عندنا، ويعاد ضجيجها حتى يكاد يسد، علينا عقولنا وأفكارنا، ويفقدنا توازننا ويطيح بنا من عليائنا.

كما قال عبد الله زكريا الأنصارى فى مقدمته لمحمود حربى وهو يدفع به على حافة الحلم الذى اشتعل- ثم كاد يخبو- فى كثير من مواقع الكتاب، ومواقع حياتنا أيضا.

سدرة أبو فجر

استدرجنى مسعد أبو فجر إلى دروب وروائح وأنفاس غضون سيناء، ملامح وجهها ودقات قلبها ودفق شرايينها بالدم القوى الرقيق الشرس المتسلل إلى الوهاد والجبال والظلال والشجن القديم، حيث ظلت (سدرة وادى النيل) تنثر قصصها فى المنخفضات والمرتفعات وتشكيلات الأفق الصخرى المقدس، لتحط بين أقدام ذلك البدوى الذى يجلس تحت شجرة زيتون كأنه نبى ينتظر الوحى، إنه أبوه، أبو فجر نفسه الذى يهديه ابنه مسعد هذه المجموعة القصصية بصفته (بدويا قديسا ومثقفا) والإحساس بالقداسة والسمو والانتماء للجماعة والقبيلة يصنع الوجيف الرائع الراقى لمعنى الوطن.

إن سيناء - بكل تكويناتها الحكائية الجميلة الواخزة تنساب غماما وإشراقا ورمالا ووحدة وجماعة وشمسا ضاربة فى الوجدان والعيون والحصار والعناد والصبر البدوى، كمحاولة ضرورية

لإخراج النص القصصى المصرى من بين طيات لحم بطن العاصمة– أقصد:نصوص العاصمة الباهتة المتناثرة دهونا على الذاكرة الأدبية، أو فى سذاجة وبلاهة المسلسلات التليفزيونية، التى تتناول هذه المناطق الأثيرة من بلادنا، إن مجموعة قصص (سدرة وادى النيل) تعمل داخل الجهود الإبداعية ذات الحس المصرى الخالص– والنقى– التى تصنع شبكة تأثيرها تعبيرا عن هذه المناطق المستثناة من الخريطة الأدبية القاهرة، والتى تتألق فى عيون وأباريق الماء ورائحة الإثل والإبل والثعابين وقوز العبد ووريقات التين والتلال والأغنام والطيور التى تمخر قلب السماء ودموع الأمهات البدويات ذوات الفطرة والذكاء والحنان الجارف.

غير أن الذى قدمه مسعد أبو فجر فى سدرة وادى النيل كان قليلا لا يشبع فتحة النفس لاستنشاق هذا الهواء الطازج الشرس العاصف الهفهاف، إنها عينة لا تكفى أن تكون مائدة أو وليمة وهو أمر يلقى عليه مهمة ادراك هذا الهدف مع تخفيض الصوت العالى فى التنبيه الدائم لارتفاع ثقافته، دروب الصحراء وقمم جبالها وظلال صخورها واهتزاز أحزان الأوراق الخضراء تحت نسيمها، تحتاج إلى ذلك الهمس البدوى الأبدى الذى يزيد من التواصل مع الآخرين.

١٩٩٩/١١/١٧

إشارات فاروق خلف

كانت (وردة النار) أولى مناطق اللقاء بينى وبين الشاعر فاروق خلف منذ أحقاب بعيدة، تغيرت من خلالها أمور واحتدمت مشاعر وأضطربت مواقف ونشأت قصائد وحكايات وكوارث وأقاصيص، خلال كل ذلك سقط أصدقاء طنطا كل بطريقته الخاصة، رحل صالح الصياد وتقاعد على عبيد كما أنفض المولد الذى سعينا سنوات لنسعد فيه حول مقام الصديق الجميل الراحل عبد الله شرف، والتهم التكاسل الأدبى فوزى شلبى وسعد الدين حسن وآخرين، وبقى حيا– أعطاه الله العمر المديد– فاروق خلف، والذى توالت إبداعاته وآخرها هذه المجموعة الشعرية الرقيقة: إشارات ضبط المكان والتى يبدأها بهذه المصادرةالتى يعلن فيها أنه لا يعرف القراءة وإن كان يفهم المكتوب (ولدت فى ساقية مهجورة، وعشت فى بيت من بيوت الطين مثلما تعيش الزنابير) وأضاف إلى كثير من القصائد هوامش شعرية

تستثير الرؤى وتضغط على الجوانح، كما أن محاولات أخرى هاجم فيها الموروث من إيجاز العنوان ليصبح أكثر اتساعا وبراحا من متن القصيدة ذاتها (العنوان: نصف يوم، نصف عام، نصف حلم، أسراب من الغزالات تهاجر، والخضرة تندفع نحوى، والكائنات التى طفرت من الموج لم تقل كلمتها بعد) أما القصيدة ذاتها (ماذا أريد من الحياة، اكثر من أن أحلم، مثل هذا الحلم، مرة أخرى) وهو أمر قد يثير عدوانية القارئ على محاولات الشاعر فى التجديد، لكنه لا يلبث شاعرنا أن يعود إلى الاستواء ليبقى حجم العنوان فى حدود تقاليده الموروثة وإن اختلفت فى الإيحاءات.

وأشعار فاروق خلف سهلة وبسيطة وناعمة، وقادرة على التواصل السريع دون وقوع فى الغموض العصرى المستشرى باسم الحداثة (همسة خاطفة، للضفاف قبل أن تعرف، قبل أن ينصرف النهر ويرتجف الطير من الخلف، وتكف الريح عن القصف، همسة عاشقة، للضفاف قبل أن تجف) ليكون هو آخر الذين يواصلون رحلة الإبداع فى طنطا، مع أهمية أنى لم ألتق به من سنوات تتجاوز العشر، تجددت كلها فى إشاراته الجميلة لضبط المكان يصبح لها معنى مغلق بالأريج الأثير الذى تفرزه إرادة الاستمرار فى الإبداع الجاد، دون كلل أو إلقاء الغبار فى وجوه الآخرين.

١٩٩٩/٤/١٨

دراجات رجب

رجب سعد السيد من القلائل الذين تضطر أن تنطق اسمه ثلاثيا حتى لا يقع السامع فى حيرة أو اضطراب، لكنك–حين تقرأ كتاباته– يقف أمامك متميزا بالغ الرقة والابتسام، فهو من الجيل– الذى أنتمى أيضا إليه، والذى اعتصرته الهزائم والسجون والبؤس والإحساس الغامر بالوطن، والرغبة العارمة أن يصنع التعبير المناسب والمتوافق مع كل هذه الضغوط– حتى الذين لم يسجنوا ظلوا مطاردين نفسيا يمتطون دراجات بهلوانية ليثبتوا أنهم قادرون على المقاومة– أو على البقاء، لا أحد لم يقع فريسة للسجن داخله أو خارجه، أو شهيدا للوطن حربا أو سلاما، وتمزقنا أفرادا متناقضين شديدى العبث والأسى والتصارع، أركبوا دراجاتكم هو الشعار الذى قام راكب الدراجة بتوزيعه منشورا فى ميادين الإسكندرية، إنه الضحوك المرح الصارخ غناء وسخرية، وهو الذى يعبر عنه رجب سعد السيد– فى

جدية شديدة- بأنه الجزء الماضى المنطلق المحاصر من حياتنا إنه انشطارنا بين الجديةوالهزل وأختلاط الصحيح مع الوهم والحلم والواقع.

وواضح من مجموعة قصص رجب سعد السيد- هذه أن ثمة تحفظات بالغة القيود فى بعض التعبيرات والمواقف، وهو ما كان منطلقا شديد الاقتحام فى (نقوش الدم) فيما أذكر والتى صدرت منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما ربما يرجع ذلك فيما أظن إلى الإنصات لطبيعة النشر فى الجرائد والمجلات غير المصرية أى قبل جمعها فى كتابه هذا، وهو ما وقعنا فيه جميعا أى أنها ملحوظة تخصنى أيضا، ليصبح الأمر بركوب الدراجات نزوعا إلى هذه الحرية الفطرية المبتسمة- سلوكا وإبداعا- دون قيود أو تعليمات أو رقابة أو شرطة.

وهذه المجموعة القصصية- الراقية والبليغة- تضاف إلى جهود رجب سعد السيد الإبداعية فى القصة القصيرة والرواية، ثم إلى جهوده المتميزة فى قصص الأطفال، وإلى مساهماته المعروفة فى الكتابات العلمية العديدة، والتى يهيمن البحر على معظمها أليس اسكندرانيا؟؟ إذ أنه فى كل حالات الكتابة مبدع قادر على التوصيل السهل الممتع- والممتنع أيضا، بالغ الصفاء والتعبير الصادق، الذى لا زلنا نسعى إليه جميعا.

١٩٩٩/٩/٥

سبتمبر فوزى شلبى

إثباتا لحسن النوايا ضد فوزى شلبى اصطحبت نصوصه: يوميات سبتمبر - إلى الصعيد أوائل يوليو كى أستمتع بها، فاستدرجتنى الحرارة القاتلة لموقف لم أتعوده فى بلادى من قبل، الحركة والنوافذ والظل والسكون والمراوح ومياه الإبراهيمية والصداقات أحالتنى إلى بؤس نادر، وكأنى لم أقض كل أحقاب العمر على بلاط الفرن -فى الوادى أو فى الصحراء، كل أنواع السلوان أو المقاومة أو القراءة تهمشت وتحولت إلى وقود النار، وبعد عشرين يوما- يا للهول -عدت إلى العاصمة لأواجه سعيرا جديدا، غير أنى نسيت- ضمن ما نسيت- يوميات سبتمبر- على أمل أن أعود بمجرد أن تخبو نار الصعيد دون اهتمام بنار العاصمة أكثر من شهرين وبمجرد أن ولجت من الباب إلى حجرتى حتى وجدت هذه النصوص- الجميلة- تنتظرنى، الجو الهادئ يساعد على

التواصل، هل لهذا السبب تتراجع الديمقراطيات فى البلاد الحارة؟؟

وعنصر التواصل قد يبدو إنشائيا لمن يدخل باب قراءة النصوص دون أن يمتزج بها، تمهيداً لحالة التفاعل ذات الدفء التى تستقبلك بها كتابات فوزى شلبى، مع أهمية ألا تنصت كثيراً لماقاله خبراء النقد والابداع فى هذه النصوص، ادخل رائعا واسع الجوانح لكى تستمتع، وحتى تحس هذا الحزن الشغيف وتتلمس ظلال الكتاب دون سقف من أقوال الآخرين، ولا سيما حين يحاول- الراوى أو البطل- أن يقنع نفسه بأفكار قد يصل اختلافها عن عقائده فى الحياة إلى حد التناقض، لنتمزق معه عندما تستعصى عليه نفسه بين ما يريد وما يستطيع، يذوب فى أغانى فيروز أو السباحة ضد التيار، أو الصمت الثقيل أو عاصفة الصحراء أو الموت البرتقالى للشمس أو ارتفاع دقات الطبل فى الرأس أو دفن الرأس فى الصدر، أو البنت التى تود أن تصبح ضابطا أو الجثث المطروحة على أرض القذائف واللهيب، أو الإحساس الطاغى بالغربة فى بلاد الآخرين، أو سرقة النقود من المعطف أو المداهنة فى الحب والسياسةوتحقيق الطموح، أو فى حالات الاندماج بين الحس والاحتكاك بهيكل معبد الكرنك، سواء أكان الراوى ذكرا أم أنثى، سواء كان الكاتب نفسه أم أنه استعار صوت أبطاله، كل هذا يضعنا مباشرة إزاء إبداع بالغ العذوبة والنعومة والشجن، لا يتوقف عند حدود المجرى المحفور للنص، بل كثيرا ما يفيض، إنى أرفض أن أتوقف -أنا- كقارئ خارج مثل هذه النصوص كى أحدد استواءها الفنى وانضباطها مع مفاهيمى التى قد تجور على الحيوية التلقائية المتسللة منها، ولقد

أسعدنى بالفعل أن عددا من أصدقائنا فى جلسة غير سابقة الإعداد- شاركونى قراءة بعض نصوص(يوميات من سبتمبر)، وكان واضحا أن الجدل ظل يقلب فى الجوانب سعيا للمتعة، مع نفى ما يكون قد ظهر من بعض الرفاق من الاستعداء المبكر- بالمفاهيم الجائرة -أو الناشفة ،التى تعنى فقط أن صاحبها عالى الثقافة، دون مراعاة ضرورة الانتباه أن النص كائن حى، يجب أن يتنفس بعيدا عن الضغوط والقسر، ويجب أن يسعدنا- ونسعد به كلما تواصلنا، ليزداد إشعاعا وجمالا ولا سيما أننا الآن فى آخر أيام سبتمبر الهادئ.

١٩٩٩/١٠/٣

هذا.. ظل الأرض

لا أحد يطيق قراءة هذا الشعر، فأحسست برغبة عارمةفى مداهمة أشعار فتحى فرغلى رغم إعلانه ذلك العائق فى مدخل مجموعته الأخيرة، هذا ظل الأرض على قلبى، لكنه لا يلبث أن يفتح بوابة الاستدراك مخفضا نغمة الاستفزاز ضد شعره (لا أحد يطيق قراءة هذا الشعر لكنى أكتبه، يبدو أنى لن أترك لصديق إن كان صديقا حقا شيئا قد ينفع فى دفع التهمة، لكنى أترك للأعداء كثيرا، وكثيراجدا) ثم لا يلبث الشاعر – بعد هذه المداورة أن يترك عالمه ويندا ح نحو أفكارنا فى هدوء منخفض إلى درجة الهمس (ما يجرى قدامى لا يحتمل الشعر، على لذلك أن أختار فإما أنى أو إما أنى.. وقد اخترت الأولى فخسرت، اخترت الثانية تعلثمت).. لكن الشاعر– بعد هذه المؤامرة الشعرية جذبا إلى الداخل، يصل إلى حالة التنغيم دون المشاكسة:(قد صار النيل صدى للماء، وصارت كلماتى هذيانا

من فرط اللوعة، إن كنت ستركب هذا البحر، تعلم أن تمضى ويداك مكبلتان إلى قانون قد ألفت سطوته كل الناس.. قل آمين.

وهذا المجموعة الشعرية لفتحى فرغلى هى الرابعة، ومنذ مجموعته الأولى:(فصول من كتاب الحب)، وهو (يبدأ من وجع، ويصير إلى وجع، يهجر دفء مرافئه مختارا)، وتحس بكل الحزن- أنه حالة سائمة هائمة بالغة العتاب والقلق والتشاجر مع الوطن، وظل الأرض- الذى يتوج عنوان المجموعة- هو الوطن، وهو الحالةالوجدانية المتفاعلة فى جوانح الشاعر حتى حين يرمزه أنثى (يا سيدة الكلمات إلا من بعض حروف، لو حتى مهملة، مما تهبين عبيدك، هى عندك مما لا يحسب، أما عندى فهى مفاتيح الإبصار جميعا، حرف منها يخرجنى من هذا الليل) وفى قصيدة أخرى (لكنى- فى كل صباح -هذى الأرض تفاجئنى أنى أنهض من جب الليل وبى شوق للأعراس، فإذا بالمعشوقة تتهيأ لعشيق آخر). ولعل جمال هذه الأشعار يعود -فى درجة من درجاته -إلى البعد عن الغموض أو هذا الاضطراب الذى حاق بالمدرسة الشعرية فى السنوات الأخيرة تحت شعار الحداثية- أى المبالغة فى الحداثة ولذا فإن ما يكون غامضا فى شعر فتحى فرغلى، يظل محسوسا ومتفاعلا فى الحدود النفسية التى يتطلبها سحر الإبداع، وإن كنت أود أن يغامر أكثر فى مجالات التعبير وآفاقه الممتدة ظلا على قلبه الهائم.

١٩٩٩/٦/١٣

الوحدة.. و.. الونس

قرر شاعرنا- محمد الحسينى- أن يهدى أشعاره- والتى حملت عنوان (ونس)- إلى السيد والده، (الراحل الطيب، الوسيم الشهم، الراجل الشامخ العزم، الراجل الصبى فى زى كهل، الراجل الأهل، أبويا اللى خلفنى- لا عرف يربينى ولا عرف يروضنى، فقرر ينتقم منى، ومات قبلى) ولقد رأيت أباه وجالسته، كما قرأت أشعار الحسينى، فى جلسات الونس المتعددة والممتدة، وكثيرا ما مزقت قلبه واعتصرت شجنه، واخترقت أحلامه الشريرة البيضاء، فظل (زى شمعة مبهمة جدا، لا دمعة ولا لمعة). مفعما بالعشم المصرى الذى يقوده إلى أتون النار، ليظل يهوم فى سموات الحزن (امبارح كلمت حمامة، صاحبينى صاحبينى).

والإحساس الغامر بالوحدة، مع أن ضجيج الصداقات الصاخبة يداهم كل المساحات الرقيقة، فيواجه عالمه المسكوب فى الوعى (على

بعد كام سنة، من هنا، كان أنا، أرض وكائنات، نور الشمس، وقع النهار إليها وداب: قمر وسراب، بعنين بتشرب م السحاب).

ولعل هذه سمة خاصة بأشعار الحسينى يخلط الأوراق والمعانى، والمدركات بالأحاسيس مع الوقوع فى اختناق المدرك العقلى، ياشر: شرار العسل، باين عليك هايم، ولا انت مش دايم اصحى وصحى النوم، اليوم ده يوم الغباين، كان عند بابها الشمال فى الوضع مايل، كان عند بابها اليمين فى الوضع مقلوب.. ما بعد موت الموت، لاح الفراغ باير) إنه يخترق عالم الضجيج ليصل إلى وحدة الونس، الونس مع الحلم والأمل والعذاب الدقيق الصغير، ذرات غبار شائك تنتشر فى التكوينات: (ساعات أبص فى مهجتى، وأضحك من غير سبب، مع أنى فى كون وحيد ومكتئب) تحيل بطانة الأشعار إلى زغب دقيق يبدو برئيا، ويبدو بسيطا، تماما مثل أبيه الوسيم الشهم الذى قرر أن ينتقم منه، فرحل قبل ابنه ، وهو ما يساعدنا الآن كى نحل محل السيد والده، فنرعاه دون أن نخشى تهديده السابق بأن نرحل قبله، وفى- أيدينا وقلوبنا- أشعاره المريرة والمنيرة، مثل الونس تماما.

١٩٩٩/٥/٣٠

مشهد يسرى حسان

هذا المساء، يروق لنا أن نجازف، أن نتوحد فى الأبجدية، عند حدود الجسد، المسافة أقصر من أن يحط على صدرك الآن طيرى الغريب- وأقصر من أن يسافر فى الدم، شريان دم، ويتدفق هذا الشاعر الرقيق يسرى حسان فى مجموعته الشعرية: قبل نهاية المشهد، ليعلن أن المسافة أقصر من نبضة القلب للقلب حين يذوب على صدر هذا الجمال الجميل، والذى يراقبه بعين الصحفى التى تستوعب المشهد، وعين الشاعر التى تداهم الداخل وتسبر أغوار الباطن، وتطلق عقال المجاز، وتستثير فى الخيال أمنيات الواقع المهووسة: فى الحال، وفى الحركة، وفى الوطن.

وأعترف بأننى كنت قد أقصيت أشعار يسرى حسان جانبا، تحت سيطرة فكرة أن مثله -ومثله كثيرون- يملكون مساحات للنشر بطبيعة أعمالهم الصحفية وسوف يجد دائما من يكتب عنه فى الوقت الذى يتناثر أصحاب الأمل على أديم الوطن كله دون أية فرصة، إنهم أولى،

وبهذه النظرية- المصطبية- ظللت أتفادى الكتابة عن كثير من الأدباء الصحفيين، يوسف القعيد ومحمد جبريل وعبد الفتاح رزق، ومحمود الوردانى وآخرين وكان جمال الغيطانى وأحمد الشهاوى استثناء بسبب ظروف قاسية مرت عليهما، ولذا فإن الكتابة عن يسرى حسان تخرق القاعدة وتحطم النظرية المصطبية من أساسها، لأن هذا الولد شاعر يمكنه أن يكون أكثر أداء، إنه فى حدود (قبل نهاية المشهد) يختصم الضجيج، ويناور اللغة، ويستتر بالهمس العذب الذى يكاد يكون رثاء للأحلام والأمنيات حيث يقول كان يحلم بالمطر المتسربل فى النافذة، وجهه العذب كان ينام على صفحة الماء، لحظة أن يهرب الماء للبحر حتى يلامس موجته الهاربة، كان يحلم بالموت والزنبقة، ويقول لا شىء لا شىء يرد الدم عن راية الموت المتخثر فوق جبينك غير حصاة الملح، ويقول فى قصيدة (حوار) التى جاءت فى مجرى مخالف لبقية الأشعار: كنا، يا مولاى، قدر الأرض، أن تعطش هذا العام، قدر البنت أن يتأرجح ما بين طعام السادة والخدام، يا مولاى.

أحس -بضراوة -أن يسرى حسان سيكون أكثر شجاعة فى مداهمة الصور التى تبدو لينة فى أشعاره تلك، أنه يتحسس- فى مجموعته هذه -الطريق إلى الأخطر، إلى المشتعل الملتهب الذى يقذف بالحمم الشعرية، لتجرف فى طريقها كل ما هو لين ضعيف رقيق، حيث يطارد الشعر بين شراسة الصخور وكينونة العفاريت، لتكون للتعبيرات سعير ما قبل نهاية المشهد، إن جذور ذلك كامنة فيما هو قائم، وعليه أن يرعاه ليورق شوكا والتياعا وجمرا..

١٩٩٦/١٠/٢٧

كونشرتو.. العتمة

محاولات أخرى، وجديدة، بدأت تظهر على ساحة الكتابة، بقصد كسر ما يكون قد استقر من الشعر الحديث، ثم الحداثى، أو الحديث جدا، أى: الخروج عليهما، سواء فى تمزيق الوحدة الإيقاعية أو الإغراق فيما يبدو أنه اهتمامات يومية، أو الإنصات لما قد لا يحبه الفن (المتسامى) والذى وضح أكثر فى مدخل المجموعة الشعرية لمؤمن سمير:

(بورتريه أخير لكونشرتو العتمة) إنك تقرأ الإعلانات والفهارس والملصقات التى تغنى بصوت عال: هذا هو الشعر هذا الصباح، وما إلى ذلك من مقولات تفتح بطن الكيان الشعرى العظيم وتلقى بأمعائه على الأرض.

والمحاولات دائبة من صاحب هذه المجموعة كى يقفز على ما استقر من آخر أشكال الكتابة الشعرية، سواء فى الولوج إلى عالم النثر بين قفزة وأخرى، أو استخدام الجمل (وليست الأبيات) الممزقة

بين السطور، أو الإكثار من الاعتماد على المصطلحات الأجنبية، مثلما ورد فى عنوان المجموعة (بورتريه كونشرتو)، بالحروف العربية، أو الويك إند بالحروف الأجنبية وما إلى ذلك من أحداث الشغب المتوالية فى لغة هذه المجموعة مع أن الإحساس الشعرى - بعيدا عن هذه التمزيقات- دافق وشديد الدفء (يغلقان عليهما الباب بهدوء ثم يضىء أحدهما العتمة، لحظة واحدة ستكفى لأن ينظر كل منهما فى عين الآخر، نظرة تقول كل شىء، قبل أن يعطى كلاهما ظهره.. وبموت (المقاعد الخالية) التى انتظرت المحبين زمنا، ألقت بنفسها من النافذة ،وحلقت مع الطيور، التى لا تشاهد إلا اثنين، اثنين) وإلى ذلك من أشعار تبدو متسقة مع المدرسة السائدة حاليا، إلا أن الأمر لا يستقر سريعا، إذ تعاود صاحبنا رغبته الكاسرة للخروج فيلجأ إلى اللهجة العامية، (لسه الأغانى ممكنة)، أو افتعال التقطيع فيما لا يدعو إليه التقطيع، مع أن قصيدته التى فازت عام ١٩٩٧ فى قصور الثقافة مرصوفة فى هدوء دون أى نشاز أو تمزيق حتى لو كان عنوانها طويلا.

وتجربة مؤمن سمير تستحق الجدل، ولا سيما وأن الشد والجذب فيها قد يؤديان إلى نوع من الكتابة المغايرة- فى الشكل - أكثر من المضمون، إذ إن كل ما تناولته وسائل التعبير- التى يريدها أن تكون من الاستعمالات اليومية - أو خلطها بما هو سامى ومتألق سبق لكثيرين من أبناء المدرسة الحداثية استعماله، حتى ولو لم يفهم أحد المعنى الحقيقى للكونشرتو كشكل من أشكال الموسيقى الكلاسيك، أى أنه مجرد استعمال مثير لانتباه بعض الذين لم يسمعوا الكونشرتو، أو لم يسمعوا عنه من قبل.

الدخان

لو أن هيثكليف توقف عن التدخين لمااستطاع أن يكمل الدورة المأساوية فيعود إلى مرتفعات وذرنج كى ينتقم- بعد عشرين عاما من حبيبته تدميرا وذوبانا وعشقا ولهيبا، وبؤسا وفى الحالات المتعددة المنتشرة فى روايات كونان دويل: ظل شرلوك هولمز يلوذ- وحده -بحجرة التدخين ليمعن فى عمق التفكير سعيا ليفك الغموض العظيم- لاحظ أن حجرة التدخين تختلف عن حجرات الأكل والنوم والمكتبة وأجنحة المطبخ والمشرب والاستحمام- دعك من ذلك الآن لصعوبة تصوره عندى وعندك، وكان أخونا ديستوفسكى مغرما -أو مدمنا- للتدخين تمهيدا لأن يوقع بطل الجريمة والعقاب فى مصيدة الاعتراف، وأنا متأكد- دون أن أملك دليلاً قاطعا- أن السيدة العجوز كانت تدخن بشراهة، وإلا فكيف عادت من آخر الدنيا لتحاصر قرية دورنيمات ليقوموا بتسليم حبيبها القديم -الخائن-

إليها، وفى المرتين اللتين اقتربت فيهما من نجيب محفوظ ،كان ينظر إلى ساعته فى توقيت واضح ليدخن السيجارة الهليوت، كان ذلك منذ ثلاثين عاما ولا أعرف ما الذى جرى- بعد ذلك لنوع السيجارة، مع أن طريقة نجيب محفوظ فى التدخين كانت تتسلل من خلال سطوره فى أنفاس أنيس زكى وسعيد مهران وصابر الرحيمى وعدد مذهل من الحرافيش والفتوات والواقعين من فوق فراش اللذة على الأرض ولم يكن يوسف إدريس يتورع عن الوقوف فى أى موقع أو تجمع أو شارع أو جدل أو احتفال كى يشعل سيجارته، ويوسف شاهين هو الفنان الوحيد الذى رأيته يدخن- فى شراهة معروفة- على شاشة التليفزيون، واضح أنها حالة استثنائية ،ورحل ضياء الشرقاوى بأزمة قلبية ناجمة عن تكثيف التدخين، كما أن صلاح عبد الصبور، ذا المشاعر الرقيقة الحساسة- اغتيل فى موقف عبثى بالغ الضراوة- كان الموقف هوالمناسبة.

أما السبب فقد كان كثافة التدخين، ولم يكف جمال الغيطانى (شيشة) وسيد القمنى (سجائر) إلا بعد أن اجتازا بوابة جهنم الدموية فى تغيير أو توسيع الشرايين)هذا إذا كانا قد توقفا فعلا- رغم ذلك) وسوف يظل سيجار هافانا الضخم بين شفتى هيمنجواى، ذاك العجوز المهزوم بأسماك القرش والزحف المتراجع فى جيوش جبال الألب، والأجراس التى تدق دون أن يسمعها أحد، هيمنجواى انتحر- فيما يقال -والسيجار الكوبى بين شفتيه، أما موريس لبلان فقد كان قادرا على تحريك أرسين لوبين متقافزا على الجدران والشرفات وفى فمه السيجارة وفى يده المسدس.

أقول ذلك لأن تعليمات الطبيب تحاصرنى لعدم التدخين بالمرة، وإلا فإنه سوف يتوقف عن علاجى، أنا أقول له لقد توقفت عن التدخين فعلا، ويدى تعبث فى جيبى كى تتلمس علبة السجائر، لقد عانيت الليلة أزمة لا أستطيع وصف عذابها، اختناق ضاغط بالغ الضراوة، النيكوتين أفسد الدم وجدران الشرايين ولذة الأكل والحب والتواصل، مع أنى واجهت مواقف عديدة توقفت فيهاعن التدخين تماما فى السفر- وسماع الموسيقى فى القاعات المخصصة لذلك، ولم أحاول أبدا- بعد مواجهة عنيفة مع النفس أن أتسلل بعيدا إلى حيث أقوم بالتدخين المسروق بين فواصل عربات القطارات أو دورة مياه الطيارات أو دروب قاعات الأوبرا، كما تعودت أيضا أن أقرأ بالساعات فى حجرتى دون أى تدخين، لكنى ماأكاد أخرج إلى الشرفة أو أنزل من القطار أوتمتد يدى إلى الورق والقلم للكتابة ولو كتابة روتينيةكالخطابات أو تسجيل العناوين وأرقام التليفونات، حتى تمتد أصابعى- قبل أى من ذلك- كى تشعل السيجارة والآن وقد بدأت كتابة كل ذلك دون تدخين، فوجئت بالدخان يملأ المكان ، وبقايا السيجارة فى يدى، والوقوع فى مصيدة انهيار الإرادة أصبح المصير - أعوذ بالله: راجع مصير الذين سبقت لنا الإشارة إليهم طوال الأحقاب الماضية.

١٩٩٩/٩/٢٦

ليالى زهر الفول

ومن حقى- بين وقت وآخر- أن ألجأ إلى هذه البوابةجبرا لخاطرى، لا سيما وأن سعادةقصوى داهمت جوانحى فى أسيوط -وديروط من خلال مناقشةكتابى الصادر حديثا (زهر الفول)، وأول القول بعد الصلاة على النبى الاحتفاء السماوى الذى غمرنى بالحرارة فأحالتنى إلى جمرة متوقدة بالحب والانصهار، والتف أصدقاء حول زهر الفول يقلبون فى المقالات الممزوجة بالحكايات والمرح والقصص والتعليقات والخرافات والاعترافات سعد عبد الرحمن ومحمد عبد المنعم وشوقى أبو ناجى وسعد زغلول والحاج عامر الجاحر وأسامةعطية ورجائى الطحلاوى.

لاحظ أن الأخير هومحافظ إقليم أسيوط، أكاد أحسن أننى لحظتها كنت أولد من جديد رغم السبعمائة وعشرين شهرا التى أحملها فى الفؤاد متألقة- ومرهقة- فوق ركن صغير من الكتب، وفوق ساحةمروعة من الشد والجذب والاتهام والتوفيق وتحقيق بعض الأهداف التى فى

حجم زهر الفول: النبات وليس الكتكوت، وكان الجدل- فى الندوتين يرقى حتى يصبح أفقا متسعا بعناء الإبداع، ويتهافت ويضمحل حتى يصبح حصاةأو طوبةجاهلةمثيرةللسخرية: تساءل واحد- له مجموعات من قص وروايات-

فى انكار جاد رصين يليق بالأدباء المتمكنين: لماذا أطلق الكاتب- الذى هو أنا- عنوان: زهر الفول على هذا الكتاب لماذا لم يقل: البنفسج أو الورد أو الداليا أو الاوركيد، أوالسوسن، فأضفت إليه مازحا: نسيت النرجس، كان واضحا أن المتحدث المؤلف يستعرض قدراته الفائقة فى الاستيعاب للثقافةالعالمية، ظللت أمعن فى وجهه الصغير اللطيف، فانزعجت أن يكون ثمةكاتب مبدع فى إقليم أسيوط لايعرف العلاقة الوثيقةبين الكتكوت الذى تظهر على بوادر أجنحته ذات الريشات البيضاء نقطة سوداء واضحةوهو نفسه تشكيل زهر الفول الذى يسبق ظهور -لامؤاخذة- قرون الفول بأسبوعين وأن الأسم يطلق بشكل تفاؤلى -أى من باب التيمن- فى تلك المناطق على هذا النوع المتميز من الكتاكيت دون المرور على الثقافة العالمية، لقد وضح أن المشكلة الكبرى المتكلسة فى ألباب كثير من المبدعين الاحتفاء الغامر باستعراض الثقافات (الأخرى) دون معايشة، أو إمعان فى الثقافة المحلية وسيظلون -هذاالسبب العتيد- مجرد أكوام من أوراق مطبوعة: مع أهمية كتابة الاسم بالخط الثلث..عذرا فقد لايعرف البعض الخط الثلث، مما يجعلنى أنسى أن أتقدم بخالص الامتنان إلى كل المدركين لمعنى الكتابة عن بلدنا، وعلى رأسهم من ذكرت أسماءهم الواضحة فى حب واعتزاز وهدود أعصاب.

١٩٩٨/٦/٢١

صباح الهرم

ظل الهرم ملاذى الدافئ سنوات عديدة، فأيام البحث عن عمل والانتقال بين قارات القاهرة مضغوطا: أركب ترام رقم ٨ من العتبةليظل يسعى حتى فم الخليج ثم الروضة، ثم ميدان الجيزة، بعدها ينطلق بين أشجار وارفة فى شارع الهرم كى أبارحه أمام فندق مينا هاوس، بعدها يصبح جميلا وعذبا أن اتسلق الرابيةوأدور حول الهرم الأكبر ساعيا للجلوس على صخور الهرم الثانى، والذى كان الأفق الشرقى يمتد أمامه متسعا فسيحا دون عائق حتى-فى آخر الدنيا-

تبدو ضاحيةالمعادى المغمورةبدفء الشمس، فعلت ذلك مرارا: استقبالا لشمس الصباح بالذات، ومع كل الهجرات من القاهرة إلى أسوان- زمن السد العالى- ظل الهرم ضاغطا قادرا على استقطابى فورعودتى فى إجازة، وكان خط الترام قد رفع وأعيدت

صياغةالشارع ليصبح عاريا مثل الألفاظ الجارحة، وبعد سنوات طويلةعدت للاستقرار فى العاصمةلكن الهرم كان لا يزال متفاعلا فى جوانحى، ولا سيما وأن بيتى أصبح فى أقصى مسافةفى منطقةالهرم ذاتها.

ولم أتوقف عن هذه الفعلة المبكرة إلا منذ سنوات –أى بعد إقامة هذا السور السخيف ذى الحرس وخفراء الابتزاز وإفساد الوحدة والتأمل حول منطقة الهرم، لكنى كنت قد اخترقت أعماق الأهرام الثلاثة مشدوها ومذهولا، وهوما أدى أن أخترق أيضا المنطقةالجنوبيةمن الأهرام المعروفة هناك فى سقارة–هرم زوسر المدرج ومقابر عديدة وسراديب لعجول، كما أن جنوب كل ذلك تربض ورشة الأهرامات التى تحتوى على الهرم الناقص الذى اكتشفه المرحوم المهندس زكريا غنيم، وهو نفسه فيما يقال الذى اكتشف مراكب الشمس بجوار هرم خوفو، لكن الوصول لهذه المراكب لم يتحقق إلا فى يوم كان فيه زكرياغنيم بعيدا عن عمال الحفر حيث كان يتولاهم المرحوم كمال الملاخ وبالتالى ارتبط الاكتشاف كله بكمال الملاخ دون زكريا غنيم، والذى دفعه سوء الحظ المتوالى أن انتحر غرقا فى نهر النيل، أشير بسرعة إلى أن الهرم الناقص المشار إليه فى اعداد غرفة الدفن فيه ذات التابوت الضخم المغلق لزيارة الرئيس جمال عبد الناصر، لكنه– واثناء الزيارة اتضح أن غطاء التابوت قد تحرك من مكانه فوق التابوت وأن المومياء اختفت لا أعرف مدى صدق ذلك، ولعل واحدا من ذوى الخبرة والمعرفة فى هذاالشأن يشرح لنا هذه المسائل، وهى تلك التى تجعل الإنصات

للأهرام فى ظلالها يمنح المبدع طاقة لا نهاية لحدودها الخيالية، والتى تستشرف هذا الأثر الرمزى المعبر عن طاقات واقتناعات وعقائد شعبنا الطيب والصبور، مساء وصباحا.

١٩٩٨/٧/٢٦

دفاع عن النفس

يجب أن أعترف بأننى أكاد أكون مصلوبا على عتبة بوابة جبر الخاطر، ولا سيما أن عددا وفيرامن صغار الأدباء يعزف تلك النغمات الهابطةالتى يدعون فيها أننى أستخدمها فى(شبكة المصالح) الخاصة بى ، وسوف تكون الإجابة الأولية أن جميع الكتاب- فى جميع أنحاء العالم- يمارسون ذلك، ومع أن الأمرعندى نقيض هذا تماما، فقد كتبت عن كثيرين لم أرهم ولم ألتق بهم حتى الآن وإن التقيت بهم فى- حالات نادرة- فإنما هو اللقاء المرح السعيد: حامد طاهر (عميد كليةدار العلوم الآن)، ومحمد ناجى، ونصرة (أديبة سودانية)، وعبد الله الطوخى، ومحمد صدقى، وفتحيةالعسال، وعلى منصور، وهاشم زقالى، ويوسف زيدان، وجميل شفيق (الرسام)، وأحمد مستجير (أصبح صديقا)، وعيد صالح، وهالة البدرى، وأبو العرب أبو اليزيد، وأحمد مخيمر المرحوم،

ويحيى مختار وصادق شرشر، وفتحى عبد الله، وشوقى الشايب (المرحوم،) ومحمود قرنى (اصبح صديقا)، وكمال نشأت، وشكرى عبود، وأمين سلامة (المرحوم)، وجرجس شكرى، عدد مذهل لم يربطنى بهم سوى ماكتبوه ثم ما تركته كتابتهم فى النفس من أثر، ثم إنى كتبت عن أساتذة لهم فى القلب موقع دون أن تبدو فى الجو أية مصالح –حتى الآن على الأقل: أحمد بهاء الدين– يرحمه الله– ومحمود السعدنى، ونصار عبد الله، وبهاء طاهر، وأبو المعاطى أبو النجا، وحسن فتح الباب، (مع قليل من الخصام) وخيرى شلبى، وأدوار الخراط، وكمال عبد الحليم، وسيد حامد النساج (وله الرحمة) وعزت الأمير كما أنى كتبت عن زملاء وأصدقاء هم خارج حلقة المصالح تماما.. محمد سليمان، ومفرح كريم، وسمير عبد الباقى، ومحمد الحمامصى، وعمه عبد العال الحمامصى، والمرحوم عبد الله السيد شرف، وسليمان فياض، وشوقى عبد الحميد، وعبد الوهاب الأسوانى، وجميل محمود عبد الرحمن، وسوف يكون مؤلما أن أعترف بأننى لم أكتب عن أصدقاء لهم انتاج واسع، إلابعد أن كتبوا ماهو متفرد ورائع: إدريس على، وحمدى البطران، ووقعت تحت ضغوط العطف فى حالات قليلة– فكتبت مجاملا ثلاث مرات، وأنا نادم على ذلك، ويمكن لى أن أشير فى حزن– إلى روائى شديد الثراء ظهر فجأة فى السنوات الأخيرة وكنت أعرفه منذ أكثر من ثلاثين عاما دون أن يطرأ فى بالى أنه سوف يصبح كاتبا ثريا يغرق كثير من الزملاء فى خيره وأفضاله وهداياه، ومع أن أصحاب الفضل اكتشفوا فيه عبقرية فذة فكتبوا عنه، إلا أننى رفضت– فى

تصميم –أن أجامله فى هذا الذى يكتبه– مع أنه أغرقنى فترة– قبل أن يصبح عدوا– فى نقود ولحوم وتسهيل حركة بسيارته الفارهة، وعليك أن تضيف أيضا أنواعا موازية لم أتجاوب معهم– حتى لو كانوا فى ذروة المناصب.

آسف ان اكتب ذلك وسوف تظل – بوابة جبر الخاطر– ملاذا للمرهقين وذوى الطموح الأدبى والذين نأمل أن نثرى بهم الأدب والوجدان – مع أهمية استبعاد الأقوال الساقطة فى وحل شبكة المصالح التى يغزلها الرعاع وفاقدو القيمة والقيم.

١٩٩٨/١١/٢٩

المطاردة

بعض الزملاء المخلصين من الأدباء يكشفون عن قدراتهم الإبداعية المحدودة منذ الصفحات الأولى في الكتاب، قصة أورواية أو فى البحوث الفكرية التى استشرت فى السنوات الأخيرة، ذلك اننى أترك لأى كتاب فرصة أن يصنع علاقته الخاصة بى، فالإبداع الحقيقى – سهلا كان أو صعبا – تكوين حى قادر على إفراز ما يصنع هذه العلاقة الحميمة بينه وبين القارئ – أى قارئ – وبشكل تلقائى لا قسر فيه ولا اصطناع ولا إجبار، تماما مثل الوجه الإنسانى ذى المحيا القادرعلى الاستقطاب المباشر والسريع حتى ولو كان الوجه دميما من وجهةنظر الشكليين، وبعد معاناةالدخول إلى النص، أى بعد الخبط الرقيق على باب النص، أو حتى الخبط الشرس.. إذا احتاج الأمر ، فإن الإبداع الحقيقى يتألق بسرعة غريبة فى حين أن النص الهابط لا يملك هذه النزعة الفطرية المؤثرة

وهو ما يجعلنى أختصر- بعد ذلك- كل الجهود فأقطع علاقتى به وأغلق صفحات ضيق الصدر وهو إخلاص بيننا يعرفه كثيرون من الزملاء فى حين أن الكتب القادرة على الاستيلاء الغامض تجعلنا نسبح فى جوها أو نمعن فى تكويناتها المؤثرة، حتى لوكانت ذات مضمون يضاد معتقداتنا أو معتنقاتنا.

غير أن بعض الزملاء- بالذات الذين يكتبون دون إبداع حقيقى- يطاردوننا بطريقة تصنع معاداة أكبر مما يصنعه النص ذاته، بل إن طريقتهم فى الإلحاح الخالى من الدبلوماسية يخلق نوعا من الضيق يدمر العلاقة الإنسانية بينى وبين صاحب النص، ولا سيما أن بعضهم يحتج - لدرجة السخف - بما جاء فى جريدة أو مجلةعن كتابه، حيث يتصف الكتاب بصفات تصل بصاحبه إلى العبقرية، مع أن المسألةلا تزيد على أن مسئول التحرير كان قد طلب من صاحب الكتاب أن يكتب الخبر الذى يريد نشره، فيقوم صاحبنا بتدشين نفسه بمالا يحمل كتابه أو نفسه من أسلوب جزل يتسم بالبراعةوالحداثةوعمق التفكير وصدق الرؤية وتجاوز المعانى المعهودة.

أود من الأصدقاء أن تتوقف مهامهم عند توصيل كتبهم إلينا، دون إلحاح فى المطالبة بالكتابة ، أو التصميم على المطاردة لسماع الرأى، لأن المسئولية بعد ذلك تقع على كتف الكتاب ومافيه قبل أن تقع على أكتافنا مع جزيل الشكر.

١٩٩٨/٩/٦

هروب بهجة العيد

هرب العيد المعاصر من فنون الأدب، ولم يعد موضوعا نشطا يتلوى فيه إنشاد الشاعر: العيد أقبل هاتها يا ساقى، مشتاقة تسعى إلى مشتاق وهزلت خطوات العيال والغلمان والفتيات المتقافزات- والمتقافزون- فى اتجاه المراجيح وركوب الخيول الخشبية، وقلت التجمعات المرتديةالملابس الملونة الجديدة، وحتى متعة تسلل القادرين إلى بيوت الفقراء كى يدسوا لهم- فى السر- زكاة عيد الفطر، بدأت تتحول إلى تبرعات يجمعها مندوبو الجمعيات الدينية، أى أنها فقدت طقس التواصل المباشر بين الناس وانتهت إلى مجرد توزيع مقررات كالتموين من زيت وشاى، ثم زكاة، فإذا أضفت إلى ذلك تدهور عادة تواصل ذوى القربى لأسباب عديدة الأهل المقيمون بعيدا، أو المقيمون قريبا مع ضغوط التنابذ النفسى: أى الصراعات الواضحة بين الناس فى موقع واحد، سوف يكون مؤلما أن يكون العزاء- فور صلاة

العيد- هو مجرد المصافحة مع التمتمة بالأمنيات الطيبة، والعودة إلى المنزل، إذ أن برامج التليفزيون- منذ الصباح تكون مفعمة بما يؤكد هذه الفردية الأليمة- أو السعيدة: كانت مسرحية مدرسة المشاغبين، تمثل الاهتمام الأول منذ زمن، لكن المسرح أفرز أنواعا عديدة من تلك المسرحيات التى تجعل من البيت الملاذ الضرورى بعيدا عن الزحام والعتاب واللوم والقيل والقال، وبغياب هذه الطقوس التى كانت تشعل القرائح الفرحة، وتجعل من التلقائية عملا شديد الانشراح وسط الجماعات من أهل وخلان، سحبت فى نفس الوقت الإحساس الصبيانى الضرورى بالأعياد وبهجتها وخصوصيتها، مما أدى إلى انسحاب هذه المواسم من دوائر التعبير، مع أن الطقوس القديمة كانت تجذب إليها كل الأفراد من مختلف فئات العمر، كل له فرحته الخاصة ابتداء من أداء الواجبات الدينية والاجتماعية، ثم دخولا فى فنون الاستمتاع بتلك البهجة وانتهاء بالشعور العارم بالتواصل والتراحم حتى مرارة العداوة والاحتكاك الدامى كانت تستبعدنى مواسم الأعياد، وأصبح مناسبا أن نحاول أن نتذكر بيتا شعريا واحدا يجمع مافى نفوسنا ويجعلها تنوح: عيد بأية حال عدت يا عيد ثم ننغمس فى مشاهدة شاهد ماشفش حاجة، أو صفحة حوادث الجريدة الخاصة بليلة العيد المبارك، وكل عام وأنتم بخير.

١٩٩٩/١/١٧

خاص جدا..

لاحظت أن نجوم السماء تناقصت، وأن النجمات الباقيات شديدات السخرية، وأنها تتغامز هازئة بى، سائمة، كان يجب أن أكون كلبا أو قطا أو فأرا متسللا إلى جحورالأفران والبنوك ومرابط الخيول ومرافىء المراكب، وظهرت مجموعة الثريا متشحة بالحزن القديم، وقطعت أغصان الظلام طريق النسيم فتحول إلى هلاهيل أشعار بائسة، سحلية كان يجب أن أكون أو غرابا أو ابتسامة فوق شفاه ذابلة، وحاولت نجمة الصباح أن تتلألأ لكنها لم تلبث أن انزوت متهالكة وراء المقالات ومانشيتات الصحف، وظل دخان احتراق القمامة يتفاعل مع روائح شياط الورق المرسوم والمكتوب فى المساحة الممتدة من الأنف إلى العين ليحاصر المخ، أمعنت فى المياه المندفعة من القناطر القريبة فهالنى أنها تسير متواكبة حول مقابر المنطقة، سحابة، كان يجب أن أكون ذئبا أو قالبا من الطوب، فانداحت - فى

الفضاء نجمة هاربة أو هازئة أو لاهية أو نافرة أو باحثة عن ثدى أو عشب أو قمر أو فؤاد.

قلت فى نفسى إن المسألة كلها تخصنى وحدى، وأن ذلك هو السب الكامن وراء الفيافى وكوات الأديرة وسراديب القصص والأساليب والشد والجذب فى الحكايات والتحليلات والقصائد وقوة الأخلاق وأن الناس – أنظر جيدا – كل الناس الذين تعبر عنهم وتمتزج بأنفاسهم ودقات قلوبهم– كل هؤلاء الناس يلهون ويضحكون ويحيكون المؤامرات والصفقات وأدوار المعابثة فى متعة لا نهاية لها بالمسلسلات والمباريات وأقاصيص الغرام، وأن الذين انتحروا–قبلك– ظلوا يمعنون فى حركة النجوم وشذا الإبداع وروائح القدرة الفائقة للفن، وأن أغصان الأشجار لا تحب أن ترنو إليك كما ترنو إليها، وأنها– هذه الأغصان المتألقة مع النسيم والزوابع– قد ترتاح لمسامير تثبيت اللافتات والشعارات ورايات التهليل أكثر من ارتياحها لنظراتك الحانية الدافئة.

عندئذ ترجلت عن صهوة الحزن البائس، وعدت أتسلل إلى صفحات كتاب «سيريل الدريد» عن اخناتون لأنزلق وراء حقائق عصر مفعم بما يعترينى الآن، حيث تتناثر فى الأفق القريب شظايا تل العمارنة والتى تهمس فى شجن يتيم انتظارا قديما لشروق الشمس، إننى لن أكون كائنا آخر غير ما أكون وما سأظل فيه.

١٩٩٩/١٠/١٧

بغـداد

لازمنى بؤس جارح فى الليالى الماضية، واضطربت دورة حياتى حتى كدت أخرج عن مدار حركتى، لأسقط –كأى كتلة غبية– فى أوحال الأنهار والجداول والمستنقعات: النيل ودجلة والفرات والعاصى وأم الربيع وسوباط والغزال وترعة الإبراهيمية.

فلم يكن العراق مجرد قطر يقع جنوب جواتيمالا أو شيلى أو الكونغو، ولا كانت بغداد عاصمة للعراق، وعندما كنت أستند بظهرى على مقعد فى شارع أبو نواس على شاطئ دجلة: لم تكن بيوت روض الفرج على شاطئ النيل تغيب عن ذهنى فإذا تجولت فى شارع السعدون– الذى يفضى إلى ساحة التحرير، كان شارع سليمان يستلمنى فورا. ولعل المعمار الدينى فى الكاظمية ظل يتألق هالات من ضياء حى الحسين والأزهر، وكانت إيقاعات القلب تقودنى إلى شارع الرشيد فأخترقه حتى أصل إلى نهايته فى الموسكى أو بدايته فى العتبة– التى كانت خضراء– ثم إن السيدة زينب وسيدنا الحسين كانا

فى استقبالى بالكوفة والنجف وكربلاء، والملابس السوداء لنساء المنطقة أشاعت فى الخياشيم رائحة دخان أفران الخبيز وتجمعات توديع الأعزاء فى المقابر والقطارات والمراكب ومشاهد الشهداء فى قرانا وعلى مصاطبنا وبين دفوف إيقاعات التعديد فى بلادى

لم تكن بغداد عاصمة العراق، بل ظلت حركة موارة حية داخل بطون الكتب والمجلدات مرتعا للمأمون وأبو نواس والرشيد وأبو العتاهية وابن الرومى والمنصوروالمتنبى والعباسة أخت الرشيد مع يحيى البرمكى ثم بدر شاكر السياب والبياتى وشكرى الألوسى والزهاوى والرصافى وعشرات غيرهم ظلوا يرتعون فى الفؤاد على شاطئ النيل بين الإسكندرية ودمياط وأسوان والموصل والبصرة وسامراء وكركوك..

ماكانت تضاريس العراق- كل العراق - سوى طبقات ثقافتنا وخلايا وراثتنا وأنغام موسيقانا، وهتاف أناشيدنا وإيقاعات الدفق الحيوى داخل جوانحنا هذه الجوانح التى أصابتها بلادة واضطراب وجمود، وجعلتنى أمعن فى جحافل هولاكو وهى تصرخ لتداهمنى بالصواريخ والبيانات والدم وجثث الأطفال وحطام أوعية المأكولات على فوارغ المسلسلات التليفزيونية، فأحسست بأننى محاصر، وأن الدنيا حولى- فى التاريخ والجغرافيا تزدرينى وتخرج لى لسانها، الذى يقطر سما يكتب فى العراء: بغداد..

إنه قمة الإحساس بالبؤس الذى يحتوينى الآن.

١٩٩٨/١٢/٢٧

الكاتــب

*** محمد مستجاب**

- محمد أحمد مستجاب
- ولد فى ٢٣ يوليو ١٩٣٨، فى ديروط الشريف- مركز ديروط- محافظة أسيوط.
- تلقى تعليما مبكرا دون الوصول إلى المراحل الأعلى.
- عمل مبكرا فى وظائف وأعمال فى ديروط الشريف والقاهرة، ثم فى أسوان.
- فى يوليو ١٩٦٤ عمل فى مشروع السد العالى بجنوب مصر، ثم فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة من مارس ١٩٧٠م.
- كبير كتاب مجمع اللغة العربية حتى درجة مدير عام.
- أول قصة نشرها فى حياته، كانت الوصية الحادية عشر- بمجلة الهلال- أغسطس ١٩٦٨.
- الحصول على جائزة الدولة التشجيعية فى الآداب عام ١٩٨٤.
- الحصول على وسام الفنون والآداب من الطبقةالأولى عام ١٩٨٦.

- الحصول على شهادة تقديرية، عن أفضل كتاب فى مجال- القصة القصيرة- قيام وانهيار آل مستجاب ١٩٩٥.
- شهادة تقدير- لمساهمته فى مهرجان القراءة للجميع- فى مجال الكتابة الإبداعية لكتاب ديروط الشريف ١٩٩٦.
- الحصول على جائزة معرض الكتاب عن أفضل مجموعة قصص ١٩٩٧.
- الحصول على جائزة التفوق- لدورة فى إثراء الحركة الأدبية فى مصر- مؤتمر أدباء إقليم القاهرة الكبرى وشمال الصعيد- بنى سويف- مايو ٢٠٠٣.
- نال الكثير من التكريمات والشهادات التقديرية من الجامعات المصرية والمؤتمرات والصحف والمجلات الأدبية المصرية والعربية.
- أشرف وتابع الإنتاج الأدبى بمصر من خلال تحرير بوابة جبر الخاطر فى جريدة أخبار الأدب من بدء إصدار الجريدة ولأكثر من ثمانى سنوات، والتى ساهمت فى تقديم كثير من الأدباء الشبان إلى الساحة الأدبية، ومن خلاله عرض بالتحليل والتقييم الشامل لأدب وفنون الشباب والحركة الثقافية فى تلك الفترة من نهاية الثمانيات وحتى منتصف التسعينات.
- محكم فى كثير من المسابقات الأدبية.
- مشرف على تحرير الشئون الدينية ومراجعة القصص والقصائد فى جريدة الشرق الأوسط، فى بداية الثمانينات.
- مشارك إيجابى فى الندوات والمؤتمرات فى كافة المواقع المصرية.

- ترجمت أعماله إلى الهولندية واليابانية والفرنسية والإنجليزية والألمانية.
- كتب فى معظم المجلات والجرائد العربية والمصرية مثل- الشرق الأوسط والحياة والقبس الكويتية والاتحاد الإماراتية والوطن الكويتية وأخبار الأدب والمصور والأسبوع والدستور وغيرهم من المجلات والجرائد.
- متزوج وله أبناء وأحفاد
- توفى يوم الأحد الموافق ٢٦ / ٦ / ٢٠٠٥
- حاصل على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب لعام ٢٠٠٦.

*** الانتاج الأدبى:**

١- رواية (من التاريخ السرى لنعمان عبد الحافظ)، نشرت مسلسلة فى مجلة الكاتب خلال عامى ١٩٧٥-١٩٧٦، ثم صدرت على نفقته الخاصة عام ١٩٨٣م- بعد أن رفضت دور النشر قبولها، وتم توزيعها مجانا وترجمت إلى الهولندية واليابانية والفرنسية، وصدرت منها ١١ طبعة عربية أخرها عام ١٩٩٧م.

٢- حصل بها على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٨٤م، كما نال مؤلفها على وسام الفنون والآداب من الطبقةالأولى عام ١٩٨٦م.

٣- مجموعة القصص: ديروط الشريف
صدرت عام ١٩٨٤ على نفقته ثم صدرت منها عشر طبعات وترجمت أقاصيصها إلى الفرنسية والإنجليزية بشكل متفرق، آخر طبعة عام ١٩٩٧، فى مجلد مع رواية (التاريخ السرى لنعمات عبد الحافظ).

٤- مجموعة قصص (القصص الأخرى) ١٩٨٦.

٥- كتاب مقالات ساخرة- حرق الدم ١٩٩٠ (مجموعة أولى)

٦- كتاب بوابة جبر الخاطر ١٩٩٧ ، الكتابات النقدية- عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٧- كتاب مقالات حرق الدم ١٩٩٧- كتاب أخبار اليوم- مجموعة ثانية.

٨- مجموعة قصص (قيام وانهيار آل مستجاب)ثلاث طبعات.

- وتم ترجمتها إلى الفرنسية بعد أن طبعت ثلاث طبعات خلال خمس شهور

٩- زهر الفول: مسائل ومشاغبات- الطابعة الأولى يناير ١٩٩٨.

١٠- الحزن يميل للممازحة ١٩٩٨- مجموعة قصصية، ثلاث طبعات.

١١- رواية- انه الرابع من آل مستجاب- طبعتان ٢٠٠٢ و٢٠٠٣.

١٢- رواية- مستجاب الفاضل.

- رواية هذا ليس كتاب البأف.

- رواية كلب آل مستجاب- وصدرت الروايات الثلاثة فى كتاب واحد ٢٠٠٤.

١٣- رواية اللهو الخفى- يناير ٢٠٠٥.

١٤- مقالات وحكايات من أدب (مسك السيرة) ،، والذى تميز به، حيث مدلول لواقع الحياة المصرية اليومية.

- حرق الدم- جزء أول ١٩٨٩.

- حرق الدم- جزء ثان ١٩٩٧.

- بوابة جبر الخاطر جزء أول ١٩٩٦.

- بوابة جبر الخاطر- جزء ثان ١٩٩٩.

- زهر الفول ١٩٩٨.

- نبش الغراب فى واحة العربى كتاب العربى ١٩٩٩.

- أبو رجل مسلوخة ٢٠٠٠.

- أمير الانتقام الحديث ٢٠٠١.

- بعض الونس ٢٠٠٢.

- الحزينة تفرح ٢٠٠٣.

- تنميل الدماغ ٢٠٠٤.

- نبش الغراب فى واحة العربى- جزء ثانى- مجلة العربى- مجموعة مقالات.

- الحزن يميل للمازحة- مكتب الأسرة ٢٠٠٦ بمناسبة الحصول على جائزةالدولة التقديرية فى الآداب.

- نبش الغراب- الجزء الثالث- لمقالات واحة العربى الكويتية ٢٠٠٨.

- ترجمة الجامعة الأمريكية رواية من التاريخ السرى لنعمان عبد الحافظ، ومجموعة قصص ديروط الشريف، فى نوفمبر ٢٠٠٨ بعنوان حكايات من ديروط.

*** تحت الطبع:**

أ- وصايا آل مستجاب- مجموعة قصصية- كتاب الهلال.

ب- سنوات حرق الدم- سيرة ذاتية روائية.

*** أهم عناصر الكتابة عند محمد مستجاب:**

١- السخرية مع جزالة الأسلوب والجرأة على تناول القضايا الحساسة.

٢- الطقوس والخرافات والغيبيات والحكاية الشعبية والأسطورة.

٣- العذوبة الفنية والبراءة فى رواياته وقصصه، من خلال البناء السردى، شبه المحلمى، البالغ البساطة بدون أن يحاول صياغتها فى النسق اللغوى المألوف للكتابة.

٤- تمكن من خلق أنماط جديدة للحكى والقص.
٥- العقل الجمعى فى موقفه ضد الفرد أو خنوعه.
٦- قوة وتأثير اللغة من المفردات الشعبية واليومية.
٧- حركة الناس فى عنفها وهدوئها ينظمها تراث قديم من المعتقدات والتجارب.
٨- الكشف عن انفصام الجموع عن الحالة التاريخية المعلنة رغم اتساقها معها ظاهريا.
٩- للمكان سطوته الفاعلة وبطولته الضاغطةخروجا على الكمون الجغرافى المألوف، وقد كان من نتيجة استعماله لقريته موطنا لحركةالقصةعنده، أن اشتهرت ديروط الشريف، وهناك الكثير من الدراسات حول هذه المسألة، كما أن تيارا حديثا من كتاب القصة بدأ يسلك ذلك.
١٠- أرخ لعائلته آل مستجاب كما يؤرخون للملوك والرؤساء.
١١- ومن هنا يتضح أن لكتابات محمد مستجاب مذاق خاص أبرز ما فيه معرفته بالبيئة ورموزها وطقوسها وسطوة الغيبيات على العقل الفردى والجمعى، مع اهتمامه بجزالة الكتابة وغوصه فى أسرار البلاغة العربيةالموروثة والحديثة، وعدم إغراقه فى مواصفات القصة المعاصرة، كما يهتم بربط التاريخ المعروف (المدرسى) بالتاريخ الحيوى الذى يعيشه الناس بعيدا عن المفاهيم الأكاديمية، والحرص على كشف العلاقات غير المرئية التى تربط الناس بالناس، والناس بالاشياء، وكل هذا أدى إلى انسياب أسلوبه فى سخرية مرة يتعرض فيها أبطاله للعنف والدم والمكائد.
١٢- تم فى ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٨ مناقشة رسالة الدكتوراه، للطالب عبد التواب عمران، كلية الألسن، جامعة عين شمس، عن الواقعية السحرية فى قصص محمد مستجاب

١٣- يتم مناقشةأعمال فى كثير من الكليات والمعاهد المصرية والعربية.
١٤- تم تحويل، شقته الخاصة بمدينة السادس من أكتوبر إلى متحف خاص بمقتنياته الشخصية وكتبه ومكتبته ولوحاته، وهى تجربة فريد على مستوى الوطن العربى، للمحافظة على مقتنيات الأدباء، بعيدا عن بائعى الروبابكيا والإهمال.

صدر مؤخراً فى سلسلة
الإصدارات الخاصة

54- المعارف لابن قتيبة .....تحقيق وتقديم / د. ثروت عكاشه

55- التاريخ.. تعليمه وتعلمه .....د. حكمت أبو زيد

56- مصر والمسألة المصرية .....د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

57- رحلة عبد الوهاب المسيرى الفكرية.....د. عمرو شريف

58- رسالة فى بركة رمضان ..... عبد الحميد حَوَّاس

59- مرآة الإسلام ..... طه حسين

60- المجتمع المصرى بين الثابت والمتغير ..... د. عبد المنعم الجميعى

61- الخديو والإمبراطورة.. افتتاح قناة السويس..... محمد يوسف أحمد

62- بعض ما يمكن قوله.. أوراق ليست شخصية ..... محمود الوردانى

63- شخصيات وتجارب فى المسرح العربى..... رجاء النقاش

64- الحركة العمالية فى مصر..... د. رؤوف عباس

65- مواقيت التعرى..... هدرا جرجس

66- سمير عبد الباقى.. طفل السبعين فى عيون الآخرين.....
مجموعة من الكتاب والباحثين

67- مدخل فى الموسيقى..... محمد قابيل

68- ثومة حكاية فيلم لم يكتمل ..... الأمير أباظة